الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 8 ماي1945

قالمة

كلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: الفلسفة

تخصص: فلسفة إجتماعية

الأسس الفلسفية لعالم الأفكار عند مالك بن نبي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة الاجتماعية

من اعداد الطالب **:**

- بوغرارة وليد

تحت اشراف الأستاذ **:**

- سعودي كحول

السنة الدراسية : 2017 / 2018

الاهداء

بسم الله الرحمن الرحيم و حمدا لله رب العالمين حمدا كثيرا على اعانتنا في عملنا هذا ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم الأنبياء سيدنا محمد وأله وصحابته أجمعين والتابعين اليه بإحسان الى يوم الدين

وشكرا وألف شكر لكل من ساندنا في مسيرتنا الدراسية وبطبيعة الحال يبقى الوالدين في أعلى مراتب الشكر والامتنان ، و إننا نقدم هذا العمل شكرا لهم عسى أن يكون فاتحة خير وسعادة لهم، وبعد الوالدين أوجه شكري لإخوتي كلهم ، ولزوجتي المستقبلية دنيا مجلخ ، وزملائي في الدراسة ولا شك أصدقائي أشكرهم كلهم لدعمهم المعنوي لي.

وأوجه أعز احتراماتي وتقديري وشكري وامتناني لجل أساتذتنا من أساتذة الابتدائي لأستاذة الجامعة وأخص بالذكر أستاذي ومشرفي القدير والذي لن ننسى دوره الأستاذ كحول الذي كان نعم الأستاذ ونعم المشرف، وأشكر أيضا أستاذي في الثانوية الأستاذ حداد السعيد لأنه أول من عرفني بالفلسفة وساعدني في التعرف على ميولي العلمي وبالطبيعة أوجه شكري لجميع أساتذتنا في قسم الفلسفة على حرصهم علينا وإعانتنا في الدراسة وتقديم كل مجهوداتهم لتقدمنا العلمي وأشكر رئيس القسم وجميع أعضاء الادارة وكل من له صلة من قريب أو من بعيد بنجاحنا العلمي .

لكم منا فائق التقدير والاحترام وأتمنى لكم خير الأفراح والنجاحات والسعادة ونتمنى لقائكم دائما في أفضل وأسعد الأوقات لنا ولكم ألا وهي أوقات الخير وعلى بركة الله نقدم عملنا المتواضع

المقدمة

المقدمة

مع تعدد المعتقدات الدينية والأخلاقية والمعرفية ، ليس في العالم بأسره فحسب ، بل حتى في المجتمع الواحد، أو في الدولة الواحدة، ومع المحاولة الدائمة لكل أتباع معتقد أو مذهب أو فكر، من أن تكون الهيمنة في الدولة التي يعيشون فيها مع غيرهم لمعتقدهم أو مذهبهم. برز عدة فلاسفة كل يبحث في أسس قيام الحضارة فهناك من أرجع الحضارة للإقتصاد، وغيرهم إعتبر أساس الحضارة هي الأخلاق أما مالك بن نبي فقد إعتبر أن الأفكار هي أساس قيام الحضارة وهي ما تميز إنسان على إنسان ومجتمع عن مجتمع .

ومن بين العلماء الذين تناولوا موضوع الأفكار وأعطوا له مكانة كبيرة في فكرهم نجد المفكر والفيلسوف الجزائري مالك بن نبي والذي نحن بصدد إيضاح الكثيرمن الموضوعات المتعلقة بالأفكارعنده، لما لها من أهمية في تطور المجتمعات وقيام الحضارات عامة وتقدم وصيانة مستقبل الإنسان خاصة ، فالأفكار هي من ترفع من مستوى الإنسان الحضاري ومن قيمته في المجتمع، أي على وجه الاجمال نحن في دراستنا للأفكار نقف وجها لوجه أمام الانسان الذي يخوض تجربة الحياة الابتلائية بكل ما فيها من خير وشر ونحاول التعرف على مدى قدرتنا على اجتياز هذا الطريق أو ذاك، وهنا نجد قدرا كبير من الاتفاق على أن الأفكار والمثل العليا قد حازت في تاريخ الانسانية الطويل على قدر ثابت من التأييد، كما اننا نعترف ونحب ونقدر الفضيلة في ذاتها وفي غيرها حتى ان اعوزتنا الشجاعة الارتفاع الى مستواها والفضيلة الوصول إليها يكون عن طريق الأفكار الراقية.

كذلك كشفت الدراسات الأنتروبولوجية الحديثة أن تاريخ الحضارة البشرية مليء بالأفكار البشرية المختلفة فيما بينها ، وأنها تتقارب تقاربا شديدا. وحتى اذا افترضنا وجود اختلافات بينهم فانه ليس هناك ما يمنع ظهورأفكار مطلقة وهذا يعني أن الأساس الفكري في البشرية فطري، وأن للأفكار وجودها الذاتي حيث تفرض نفسها على الوجدان البشري بطريقة أولية حدسية. أما عجز بعض الأشخاص عن ادراك المعرفة أو التمييز بينها ، انما هو العمى الفكري الذي قد يرجع لانعدام النضج، أو نقص الفعالية الإجتماعية لديهم، وان

البحث في موضوع الأفكارليس جديدا في مجال الثقافة عامة والثقافة الاسلامية خاصة ، ففي ضوء ازدهار المعارف والعلوم الانسانية في العصر الحديث نالت الأفكار حظ وفير في عناية الباحثين والكتاب .

ولعل الأفكارفي الفلسفة الغربية قد حظيت بأغلب الأبحاث منذ ادخال الفلسفة لجامعاتنا بمباحثها المختلفة، ولا يختلف اثنان على مكانة مالك بن نبي الفكرية والفلسفية في الوطن العربي والغربي أيضا ودوره الفعال في تقدم حضارات مثل تطور وتقدم دولة ماليزيا الذي يرجع الفضل الكبير لبن نبي في تطورها هذا. مما حز في قلوبنا تناول هذا الموضوع الشيق والذي هو عالم الأفكار عند بن نبي وهذا يدفعنا لطرح الاشكالية ومحاولة حلها من خلال هذا البحث.

إشكالية يمكن صياغتها في تساؤل يندرج تحته عدة تساؤلات وهذه الإشكالية هي : فيما تمثلت الأسس الفلسفية لعالم الأفكار عند مالك بن نبي ؟ ويندرج ضمنها عدة تساؤلات وهي كالآتي : فيما تتمثل الأفكاروماهي أنواعها عند مالك بن نبي ؟ وما دور الأفكار عند مالك بن نبي في سير وتقدم حياة الإنسان والمجتمع والسياسة بإعتبار أن الأفكار ميزة من ميزات الإنسان ؟ وفيما تتمثل نظرية مالك بن نبي الفكرية في قيام الحضارة وتشكل الثقافة؟

وهناك عدة دراسات سابقة قد تناولت فكر مالك بن نبي خاصة الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي وقد إعتمدت على هذه الدراسات السابقة في بحثي هذا ومن بين ما إعتمدت عليه نجد : الكبار عبد العزيز مذكرة ماجيستير في الأنتروبولوجيا بجامعة تلمسان بعنوان قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي. .حميدي لخضر مذكرة ماجيستيرفي الفلسفة الإسلامية بعنوان مشكلة التغيير عند مالك بن نبي . جمال بروال مذكرة ماجيستيرفي فلسفة الحضارة بجامعة الحاج لخضر باتنة بعنوان الدورة الحضارية بين بن نبي واشبلنجر. عبد المجيد عطارمذكرة ماجيستيرفي الأنتروبولوجيا جامعة تلمسان بعنوان موقع المسألة الثقافية

في البناء الحضاري عند مالك بن نبي . رقية بوسدان ندوة فلسفية بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة بعنوان تكامل الرؤية المعرفية في تصور بناء الحضارة عند مالك بن نبي .

لكن موضوع الأفكار عند بن نبي هو موضوع قليل البحث فيه وهو ما دفع في نفسي حب الفضول لتناول هذا الموضوع الذي له دور أساسي في فلسفة بن نبي الحضارية ، كما أن بن نبي هو مفكر جزائري ذو مكانة فكرية وذكاء عالي وبصفتي جزائري فإن هذا فخر لي دراسة من هو إبن بلدي وأمتي ، وإن الدافع من وراء تناولنا لموضوع هذه المذكرة هو أننا أصبحنا كأمة اسلامية عامة والجزائر بوجه خاص ، في فترة المخاض حيث تعاني أمتنا ألام ولادة جديدة قد تكون عسيرة ولكنها وبمشيئته سبحانه وتعالى ستنتهي بميلاد اسلامي متجدد هذا التراجع الرهيب في البلدان الاسلامية نعتقد أنه راجع بصورة أولى لابتعادنا عن الأفكار والعادات وحتى في اتباعنا للغرب وتقليدهم في نواحيهم السلبية لا الايجابية فإتبعناهم فيما حرمه ديننا الحنيف وليس فيما حثنا اليه من تربية وعلم ....فأهملنا الأفكار الراقية التي يتميز بها نخبة الغرب واهتممنا بأهواء النفس التي يذهب ويتبعها حثالة المجتمع الغربي فأردنا من خلال هذه المذكرة تقديم النظرية االفلسفية لعالم الأفكار لأعظم مفكري العرب عامة والجزائر خاصة والذي هو مالك بن نبي .

قد إعتمدت في هذه المذكرة على عدة مصادر لبن نبي بالعربية وبالفرنسية وكذلك على عدة مراجع ومذكرات ودراسات سابقة بالإضافة لمعاجم وموسوعات . ولعل أهم المصادر التي إعتمدت عليها هو كتاب مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي الذي كتبه بن نبي وقد تمت ترجمة هذا الكتاب من طرف الدكتور أحمد شعبو والدكتور بسام بركة. بالإظافة لكتاب مالك بن نبي مشكلة الثقافة ترجمة عبد الصابور شاهين، وغيرهم من الكتب التي تندرج في سلسلة من كتبه تحت عنوان مشكلات الحضارة. كما إعتمدت أيضا على كتاب في صحبة مالك بن نبي للمفكرعمركامل مسقاوي أحد الأصدقاء المقربين لبن نبي وهناك بعض المصادر الأخرى والمراجع التي سنجدها في قائمة المصادر والمراجع .

أما بالنسبة للمنهج فقد إعتمدنا في دراستنا هذه للمنهج التحليلي حيث قمنا بتحليل أفكار قدمها بن نبي في عدة كتب حول موضوع عالم الأفكار .

وهذا البحث الذي تناولناه قمنا بتحليله للإجابة فيه عن عدة تساؤلات من خلال مقدمة وثلاث فصول وخاتمة تمثل حدود البحث وهي كالتالي :

المقدمة : ونجد فيها تمهيد عن الموضوع الذي تناولناه بداية بذكرالعوالم الثلاثة عند مالك بن نبي، ألا وهي عالم الأفكار، وعالم الأشياء، وعالم الأشخاص كما طرحنا إشكالية الموضوع مصحوبة ببعض التساؤلات. وتحدثنا عن سبب وأهداف تناولنا الموضوع وقمنا بذكر أهم المصادر والمراجع التي تناولناها .

الفصل الأول : بعنوان ماهية الأفكار عند بن نبي والذي تضمن ثلاث مباحث الأول يتحدث عن الأفكار وفعاليتها عند بن نبي ، والثاني يتحدث عن الأفكار الموضوعة والأفكار المطبوعة عند بن نبي ، أما المبحث الأخير فهو يتحدث عن الأفكار الميتة والأفكار المميتة عند مالك بن نبي .

الفصل الثاني : بعنوان الأفكار وعالم الإنسان عند بن نبي وهو الآخر تحدثنا فيه على ثلاثة مباحث المبحث الأول تحدثنا فيه عن الأفكار والطفل والمبحث الثاني عن الأفكار والمجتمع ، أما المبحث الثالث فتناولنا فيه موضوع الأفكار والسياسة عند بن نبي

الفصل الثالث : بعنوان الأفكار بين الحضارة والثقافة عند بن نبي والذي تناولنا فيه مبحثين. الأول تحدثنا فيه عن الأفكار مكانتها ودورها في الحضارة عند بن نبي أما المبحث الثاني فتحدثنا فيه عن الأفكار ومكانتها ودورها في الثقافة .

ثم نجد في الأخير الخاتمة والتي قدمنا فيها حوصلة عن أهم النتائج التي خرجنا بها من تحليلنا لهذا الموضوع. ومن بعدها نجد قائمة المصادر والمراجع .

ومع ادراكنا للصعوبات والعراقيل التي يجب تخطيها فاننا نؤمن بقدرتنا على تجاوزها ، وبعملنا هذا نكون قد رسمنا طريقا مختصرا في دراسة الأفكارعند العبقري مالك

بن نبي اذ بحثنا في طبيعة الأفكار وأنواعها المرتبطة بالوطن العربي والإسلامي كما بحثنا قليلا في الحضارة والثقافة ودور الأفكار فيهم وكذلك دورالأفكار في حياة الإنسان باعتبار أن الانسان هو الأصل في قيام الحضارة وسقوطها بمكوناته الفكرية والفلسفية ودوافعه السلوكية. .... الخ.

الفصل الأول:

ماهية الأفكار عند مالك بن نبي

المبحث الأول: الأفكار وفعاليتها عند مالك بن نبي

المبحث الثاني: الأفكار المطبوعة والأفكار الموضوعة عند مالك بن نبي

المبحث الثالث: الأفكار الميتة والأفكار المميتة عند مالك بن نبي

حينما تبصرالنور الأفكار التي صنعت تاريخ العلم، فإنها دائما فعالة طالما أنها أثارت العواصف وشيدت شيئا أو هدمته، أو أنها إكتفت بقلب صفحة من تاريخ الإنسانية، وليست هذه الأفكاربالضرورة صحيحة بأكملها فالفكرة تكون صحيحة أو باطلة في المجال العقيدي والمنطق العلمي والإجتماعي، وإذا كان لابد لنهضتنا من ثورة تحرك الطاقة فالثورة ليست كل شيء، إذ يمكن أن يكون مصيرها عابرا غير محقق، إذا لم تمتلك جهاز رقابة وتصحيح يستمد من أصالة الفكرة وموضوعية فعاليتها سبل تصحيحها. ومشكلة العالم الإسلامي هي مشكلة أفكار لا مشكلة وسائل فتراثه الذي ورثه من عصور الحضارة الإسلامية غدا أفكارا ميتة، أما نماذجه الروحية التي تعود إلى العهد الأول فقد خانتها أفكاره الموضوعة التي خالفت عن نسق النموذج المطبوع الذي أرساه العصر الأول. وحينما إفتقد العالم الإسلامي الإحاطة بمشاكله وولى وجهه شطر العالم الغربي، فإن أفكاره المقتولة بفعل الإنحطاط قد إستقدمت من الحضارة الغربية أفكارا أنبتت عن جذورها وإمتصتها مع سمومها القاتلة وإن هذه الأفكار المحورية سنجد تأصيلها في هذا الفصل ومنه نطرح هذا التساؤل : فيما تتمثل الأفكاروماهي أنواعها عند مالك بن نبي ؟

المبحث الأول : الأفكار وفعاليتها عند مالك بن نبي

يؤدي مجتمع ما قبل التحضر نشاطاته البدائية معتمدا على حوافز وطرق تنفيذية معينة تمثل عالمه الثقافي المتواضع الذي يشتمل على أفكار أساسية (نماذج مثالية) يتوارثها جيل بعد جيل ، تغذي نشاطه وتكون قاعدته الثقافية وتعكس أخلاقه في هذه المرحلة ، كما يشتمل أيضا على أفكار عملية يضيف إليها كل جيل تعديلات تتناسب مع ظروفه التاريخية، توجه هذا النشاط طبقا لأدق وأيسر طرق الإنجاز. وعند بوادر التحضر يتعرض هذا المجتمع لتغيرات تتناسب مع ثورة ثقافية تؤثر على مناهجه التقنية تأثيرا محدودا ولكنها تقلب أخلاقه من أساسها ولا يطرأ هذا التغيير على عالم الأشياء وإنما يصيب عالم الأفكار. وإذا كانت الماركسية تتصور عالم

الأفكار شكل من أشكال البنية الفوقية للمجتمع أي بنية أيديولوجية * تتشكل من مجموعة من التصورات والتمثلات الإجتماعية والدينية والجمالية وتستعملها الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج لتزييف طبيعة العلاقات الإجتماعية في عملية الإنتاج المادي أو بعبارة أدق إنها الوعي الزائف أو الفكر المظلل والمشوه لوعي الإنسان يهدف إلى إعادة الإنتاج الإجتماعي وإبقاءه على حاله بدون تغيير ، ففي ماذا تتمثل فعالية الأفكار عند مالك بن نبي ؟

1) التعريف بمالك بن نبي : هو مفكر نهظوي ولد بقسنطينة بالجزائر عام 1905 كان من تلاميذ إبن باديس وعمل في سبيل قومية إسلامية وكذلك تقارب آسيا وإفريقيا ، وأدار بعد الإستقلال حلقة فكرية عن سوسيولوجيا العالم الإسلامي وكانت وفاته عام 1973 نقلت مؤلفاته التي عبر بها عن نفسه إلى العربية بعد أن كتبها بالفرنسية كذلك نقلت للأردية والتركية ومن أهم مؤلفاته الظاهرة القرآنية 1946 ، شروط النهضة ، وجهة العالم الإسلامي ، ميلاد مجتمع 1947 ، فكرة الإفريقية – الأسيوية 1956 ، مشكلة الثقافة 1957 .

وبالإجمال يمكن القول أن مالك بن نبي أبرز مفكر عربي عني بالأفكار الحضارية منذ إبن خلدون * وعلى الرغم من تأثر مالك بن نبي بالمحدثين من مفكري الغرب (ماركس وفرويد) فإنه يبدي حذرا من تناول الأدوية من صيديلية الحضارة الغربية ، ويصر على التحري عن طريق أصيل ومتميز ، لحضارة عربية وإسلامية جديدة تحسن التعاطي مع الدوائر الحديثة للحضارة ، دائرة الثقافة ، ودائرة المال ، ودائرة العمل ، وتحقق في الوقت

*الأيديولوجية : مصطلح يوناني معناه صورة ذهنية أو فكرة ، وترجمة هذا المصطلح حرفيا يعني علم الأفكار ويعني منظومة المبادئ والأسس والقواعد التي تضمن إتساق الفكر مع نفسه ، والإيديولوجية بوجه عام هي منظومة متسقة من الأفكار والتصورات والقيم تحدد رؤية الفرد إلى الطبيعة والمجتمع والإنسان وتوجه سلوكه ** جاد الكريم الجباعي : الموسوعة العربية مختارات فلسفة إجتماع عقائد ، ج 2 ص 35

* هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن إبن خلدون، ولد سنة 732 م في تونس ونشأ هناك ،تولى ديوان الرسائل لدي أمير تونس وهو لم يتم العشرين ، وقد تقلد عدة مناصب في عدة دول إذ عين وزيرا وقاضيا وحاجبا وفقيها وبين حياة السجن والقهر، ومن بين مؤلفاته نجد : التعريف بإبن خلدون، الباب المحصل، ملخصات في المنطق، ملخصات في الحساب، وقد دخل التاريخ عبر مقدمتنه المشهورة في التاريخ والعمران توفي إبن خلدون سنة 808 م. سمير الشيخ علي: الموسوعة العربية مختارات فلسفة إجتماع عقائد ، ج 3، منتدى مكتبة الإسكندرية ، ص125

ذاته التوازن الذي عجزت الحضارة الغربية عن تحقيقه بين الكم والكيف ، بين المادة والروح ، وفي التحليل الأخير بين العلم والظمير .[1]

2)عالم الأفكار عند مالك بن نبي : إن أول ما ينبغي البدء به في دراسة علم من العلوم هو التعريف به وبموضوعه فإذا حاولنا تعريف علم الأفكار والذي هو أساس موضوع بحثنا فإننا حتما سنبدأ من المعنى اللغوي والأفكار جائت من كلمة فكرة idée ، وهو لفظ إفرنجي ترجمة للفظ يوناني IDEA والذي يعني في اليونانية يرى [2]. يقول أفلاطون * عن شخص أنه جميل في الفكرة أي جميل من الناحية البصرية أي حسن المنظر، هذا بالنسبة للإستخدام العادي للفظ أما الإستخدام الفني فإن أفلاطون يعني بالفكرة موضوع العقل في مقابل موضوع الإدراك، وقد يعني بالأفكار والصور أنها نماذج وأن الأشياء المحسوسة نسخ منها ، وقد كان لنظرية الأفكار تأثير ملحوظ في العصر اليوناني ، وفي العصر الوسيط أين إتسمت بالطابع الديني، وفي العصر الحديث أدخل ديكارت * لفظ الفكرة في كتابه تأملات بمعني صورة حسية حيث يعتبر أن بعض أفكارنا هي صور حسية عن الأشياء ، وهذه الصور وحدها من نطلق عنها لفظ فكرة [3]

أما مالك بن نبي فقد قدم ثلاثة عوالم هي عالم الأفكار ، وعالم الأشياء ، وعالم الأشخاص . وعالم الأفكار عنده هو مجموعة المعتقدات والمسلمات والتصورات والمبادئ

---

[1] جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ط3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، 2002 ، ص 35

[2] حامد خليل : الموسوعة العربية مختارات فلسفة إجتماع عقائد ، ج 2 ، منتدى مكتبة الإسكندرية ، ص 151

* أفلاطون : أعظم الفلاسفة في التاريخ ، ولد عام 427 ق.م ، من عائلة أثينية أرستقراطية أخذ مبادئ الفلسفة عن أقراطيليس ثم أصبح تلميذا لسقراط والذي علمه أن الفظيلة هي المعرفة والرذيلة هي الجهل ، وقذ صادق أفلاطون الكثير من الفلاسفة ورجال السياسة وبعذ هجرة طويلة عاد أفلاطون إلى أثينا وكان يبلغ من العمر 40 حولا وهناك أسس مدرسته التي عرفت بالأكاديمية وهي أول معهد للتعليم العالي لنا به معرفة ، فكانت تدرس فيها الفلسفة بحد ذاتها وكيفية تطبيقها في السياسة وتخرج من الأكاديمية تلامذة أمثال أرسطو وكثير من رجال الدولة أنذاك ، وكان لأفلاطون الكثير من المؤلفات أهمها المحاورات و الجمهورية ، كما عرف بنظرية المثل وأسطورة الكهف ، وإن فلسفة أفلاطون هي في المقام الأول رجوع متصل للفيلسوف نحو ذاته فلسفة للفيلسوف تتخذ فيها الفلسفة من نفسها موضوعا ، ** جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ص 71

* ديكارت : أول فيلسوف محدث وواحد من أعظم الرياضيين في الأزمان ولد في لاهاي سنة 1596 ، من مؤلفاته مقال في المنهج ، رسالة في الميتافيزيقا ، تأملات ميتافيزيقية ، كتاب العالم ، وله أيضا رسائل علمية كإنكسار الضوء ،الهندسة والآثار العلوية . جورج الطرابيشي : معجم الفلاسفة ، ص 300

[3] حامد خليل : الموسوعة العربية مختارات فلسفة إجتماع عقائد ،ج1،منتدى مكتبة الإسكندرية ص 151

والنماذج التي تحتويها عقول مجتمع ما في لحظة تاريخية ما ، ويدخل في هذا العالم أيضا كل أنماط التفكير والقيم والمشاعر والأحاسيس ، فعالم الأفكار مرتبط بالمجردات من الأفكار والقيم التي لا تتأثر بالأشياء والأشخاص بقدر ما تؤثر فيهم ، وهذا هو العالم الذي ينبغي على الإنسان أن يدخله فيرفع من مستواه الحضاري والإنساني [1]

إعتبر بن نبي عالم الأفكار كأساس أيديولوجي ينتجه أفراد المجتمع في عملية البناء الثقافي والحضاري ، أي أن عالم الأفكار هو الرأسمالي المفاهيمي للمجتمع. ويعد عالم الأفكار عند مالك بن نبي دعامة أساسية يساهم في بناء وإعادة بناء المجتمع ولا يكفي مطلقا أن ننتج أفكارا بل يجب أن نوجهها طبقا لمهمتها الإجتماعية المتحدة التي نريد تحقيقها [2]، وهنا يطالعنا موقفان متعارضان في الظاهر ولكنهما مع ذلك نتيجة لوجهة النظر الإجتماعية ، وفي البلاد العربية غالبا ما نصادف هذين الموقفين متجسدين في شخصيتين مختلفتين :

الموقف الأول : هناك من يدعي أداء العمل السياسي مثلا دون أن يرجع في عمله إلى قاعدة أو فكرة معينة كأن يكون النشاط فعالا وفاعله أعمى وهذا الفاعل غالبا ما يكون سليم القصد وحينئذ لا يفسر موقفه إلا بجهله في المشكلات الإنسانية . في حين أنه قد يحدث أن يعتلي المسرح مقاول ماهر في الدجل السياسي ، يكتشف طيبة البسطاء وسرعة إنقيادهم ، فهو يريد أن يحتفظ بهذا المنجم الثمين بأي ثمن ، بينما يعلم أنه لن يحتفظ به إلا بنشر الظلام ، وطبيعي أن يفقد النشاط فعاليته إذا ما أدار ظهره عمدا للمقاييس والقواعد أي إذا ما أدار ظهره للأفكار [3].

ـ الموقف الثاني: هناك شخصية أخرى تمثل نموذجا آخر من إنعدام الفاعلية فهي بصفة عامة رجل مخلص وهبته الطبيعة فكرا خصيبا لكن لديه ذوق خالطه التلف

[1] مالك بن نبي : مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تر بسام بركة و أحمد شعبو،ط 1،دار الفكرللطباعو والنشر،دمشق ،2002،ص 16

[2] مالك بن نبي : فكرة كومنويلث إسلامي، تر الطيب شريف، ط3 ،دار الفكر للطباعة والنشر،دمشق، 2000،ص 53

[3] مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، تر عبد الصبور شهين، ط5 ،دار الفكرللطباعة والنشر، دمشق، 2000،ص 67

العقلي فهو لا يتخيل الفكرة منوالا تنسج عليه الظروب للنشاط الإجتماعي بل هي لديه لون من الترف يخلق المسرة وغرام بالأفكار أشبه بالغرام بجمع تحف ثمينة يقول بن نبي : << لو أنني وصفت هذا الفكر بصورة أستعيرها قلت أنه ليس مصنعا تتحول فيه الأفكارإلى أشياء بل هو مخزن تتكدس فيه الأفكار بعضها فوق بعض>> [1]

3)التدرج في عالم الأفكار: والواقع أنه يضاف إلى ضعف جهازنا المفاهيمي الفساد داخليا يضاف له مفعول إضعاف آخر يتأتى من الخارج فنحن عندما نجهل قيمة شيء معين لا يعني هذا مطلقا أن كل العالم يجهلها مثلنا. ولنتخذ حسب مالك بن نبي مثالا: هناك أجيال من إخواننا المسلمين في العراق قد عاشو على مقربة من منابع البترول المنتشرة على سطح الأرض ، ولكن هذه الأجيال قد ظلت تجهل الثورة الماثلة إلى أبصارها ، حتى حان الوقت الذي قام فيه أرميني لا يملك شيء بأكبر صفقة مالية في ذلك الحين ، بتخليه لإحدى الشركات الإنجليزية عن حقوق ليست له لكن جهالة المسلمين هي من مكنته من إكتسابها ، وقس على ذلك الحال بالنسبة إلى القيمة الإجتماعية للفكرة فنحن إن جهلناها فالإستعمارلا يجهلها ، فكل ما يمر بالعالم الإسلامي من أفكار فإنها تهم الإستعمار بقدر ما يهمه البترول وأكثر من ذلك بكثير[2].

وهناك تدرج في عالم الأفكار داخل المجتمع فهي: إما أفكار من شأنها تغيير أحوال الناس تملك القدرة على تكييف الطاقة الحيوية عند بوادر الحضارة ويتأسس عليها عالم الأفكار في المجتمع الجديد وتتوقف قدرتها على ما إذا كان مصدرها قدسيا أم وضعيا ، وإما هي أفكار تختص بتحول الأشياء تملك القدرة على تكييف المادة في الطور الثاني من الدورة الحضارية .

كما يجب التنويه حسب مالك بن نبي إلى أن الفكرة الصادقة ليست دائما فعالة والفكرة الفعالة ليست دائما صادقة ، فتظهر الفكرة في العالم فتكون صحيحة أو خاطئة

[1] مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص 68
[2] مالك بن نبي: فكرة كومنويلث إسلامي ، ص 55

فإذا كانت صحيحة تظل محتفظة بصحتها إلى آخر الزمان إلا أنها برغم ذلك قد تفقد فعاليتها خلال حياتها المديدة [1].

4)فاعلية الأفكار : الفاعلية هي وصف لكل ماهو فاعل والعلل الفاعلة أو الفعالة هي التي تحدث أثرا بالفعل [2]، ولكل الأفكار لحظة إشراقها تتحدد هذه اللحظة وقت دخول الأفكار العالم الثقافي سواء كانت الأفكار تتعلق بالنظام الأخلاقي أو بإدارة النظام المادي مثل صرخة كريستوف كولومبس وطاقم سفينته عند إكتشاف الهند الغربية وأثبتوا فكرة كروية الأرض وصيحة باريس بإعلان الحرية والأخوة والمساواة. كانت هذه الصرخات وغيرها إعلانا لظهور فكرة في أوج وقتها [3].

وهنالك في عالم الأفكار داخل المجتمع تراتب بين الأفكار التي تغير الإنسان والأفكار التي تغير الأشياء، فالأفكار الأولى تضع قدرة تكيف الطاقة الحيوية على أعتاب حضارة، أما الأفكار الثانية فإنها تطوع المادة لحاجات الحضارة في المرحلة الثانية من دورتها التي أشرنا إليها آنفا [4].

كما أن للفكرة دور كبير في تغيير ملامح الناس من خلال تغيير أفكارهم ويتجلى ذلك في ما يرويه لنا مالك بن نبي حيث يقول : << لقد سنحت لي الفرصة لأقوم بتجربة مع فريق من العمال الجزائريين الأميين حين إضطلعت مهمة تعليمهم القراءة والكتابة بفرنسا سنة 1938 ، وكلما تقدمت التجربة شيئا فشيئا التي تابعتها مدة تسعة أشهر، كنت أرى وجوه تلاميذي تتغير كانت الوجوه ذات وميض وحشي وقد تأنست تدريجيا وقد إختفى بريقها الحيواني ليحل محلها شيئا ما ينم عن فكرة داخلية ، من جهة أخرى فالشفاه أطبقت أو إزداد تقاربها والرأس الذي تلقى فكرة قد شغل عضلات

[1] عمر كامل مسقاوي : في صحبة مالك بن نبي ، ط1، دار الفكرللطباعة والنشر، دمشق، جزء 2، 2013، ص 1034
[2] إبراهيم مذكور : المعجم الفلسفي ، ط1 ،الهيئة العالمة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ،1983 ،ص 137
[3] مالك بن نبي : تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ترجمة وتلخيص عبد العظيم علي، ط1،دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،1997، ص 28
[4] Malek bennabi : le problème des idées dans le monde musulman ،Edition1، elbayyinat ،Hydra ،Alger،1990،page 44

الصدغ التي تعمل كنابض يشد نحوالفك الأعلى والفك الأسفل الذي يغلق الفم ، حين إذ تتغير ملامح الوجه بطريقة ظاهرة يمكن على ما أعتقد قياسها بالنسبة لمن يهتمون بالعلاقات الجسدية والنفسية ، وبالإمكان أن نتوصل إلى الملاحظة نفسها بمقارنة مباشرة بين ملامح أخوين يختلف المستوى المعرفي لديهم >> [1] .

وبوجه عام ففي سكان بلد ما هناك النموذج الريفي ونموذج المدينة يميز بينهما علماء الإجتماع ببعض التفاصيل كالملبس حتى لو كان رجل المدينة في ملابس ريفية فإنه يسهل التعرف عليه إذ يبدو كريفي مزيف ورجل الريف في ملابس الأعياد يبدو مدنيا مزيفا . ولا مفر من إحترام علاقة الأفكار بمقاييس نشاطنا حتى لا تتصادم الأفكار و العقل أو تصبح مستحيلة وإن كان فسادا يطرأ على روابط الأفكار لابد وأن يتولد عنه خلل في الحياة الإجتماعية وإنحراف في سلوك الأفراد وعندما يسود عدم التماسك في عالم الأفكار تضع علامات ذلك في أبسط الأنشطة وعندما يمس العلاقات المنطقية ينبغي أن نتوقع شتى أنواع اللبس في العقول بحيث لا نستطيع مثلا حسب مالك بن نبي أن نميز بين أسباب ومسببات السياسة وهذا ما يراه بن نبي أنه حل بالمجتمع الإسلامي بحيث إهتم بمشكلة الإستعمار ونسى مشكلة القابلية للإستعمار، كل هذا قدمه بن نبي ليبين لنا فاعالية الأفكار ودورها في سير الحياة على وجه المعمورة

المبحث الثاني : الأفكار المطبوعة والأفكار الموضوعة عند مالك بن نبي

كان مالك بن نبي من مؤيدي الحركات الإصلاحية، وهو الكاتب المتميز الذي دخل أعماق مشكلة المسلم النفسية والإجتماعية وآثار قضايا كثيرة مثل الحديث عن الأفكار ومكانتها ودورها الحضاري، وكان عميقا في تحليله للمسلمين وواقعهم، وقد آثار مالك بن نبي مشكلة العطب الذي أصاب المسلمين في أخلاقهم فضعف الإيمان أدى إلى بروز النعات الأنانية والشهوانية وسبب ذلك هو إبتعاد المسلم عن أفكاره وعقائده، فمالك بن نبي يرى أن عالم الأفكار أسطوانة يحملها الفرد في نفسه عند ولادته وتختلف هذه الأسطوانة من مجتمع

[1] مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 59

لآخر ببعض النغمات الأساسية وتتناغم الأجيال والأفراد مع سلمها الأساسي ومنه نتسائل فيما تتمثل هذه الأفكار ؟

1) الأفكار بين المطبوعة والموضوعة : يقول مالك بن نبي :<< المثير للدهشة أن الموسيقى الهندوسية لا تشبه أي موسيقى أخرى وقد أحببتها دائما دون أن أدري لماذا. كل ما أعرفه هو أنها تخاطب أرواحنا بطريقة مختلفة ، لأنها طبعت في ذاتية الهند بطريقة مختلفة وإن أسطوانة كل مجتمع تختلف عن أسطوانة مجتمع آخر وتتناغم الأجيال والأشخاص مع سلمها الأساسي وهم يظيفون إليها أنغامهم الخاصة >> [1]. إن عالم الأفكار على حد تعبير مالك بن نبي هو أسطوانة لها أنغامها الأساسية ونماذجها المثالية وهي الأفكار المطبوعة، ولها أيضا توافقاتها الخاصة بالأجيال والأفراد وهي الأفكار الموضوعة أي الأفكار المكتسبة أو المتوارثة وتتجلى في بناء مسجد أو إكتشاف علمي كإكتشاف الدورة الدموية أو معادلة من المعادلات الرياضية [2].

وتعتمد الأفكار المطبوعة في درجة التحول ومدته على المصدر المقدس أو الزمني للعالم الثقافي الذي ولد فيه المجتمع الجديد، ولقد تلقى المجتمع الإسلامي رسالته المطبوعة منذ 14 قرنا حين جاء بها الوحي من عند الله وطبعت هذه الرسالة في نفسية وشخصية الجيل الأول الذي خرجت منه ما يشبه السمفونية البطولية للدين، وقد أثارت هذه الأفكار المطبوعة عواصف في تاريخ الإنسانية بدأت بقلب المجتمع الجاهلي البدائي، ووضعت طاقته الحيوية في إطار حضارة جديدة ، وطوعت هذه الطاقة وأخضعتها لقواعدها وأصولها ونظامها الدقيق وكانت اللحظة المشرقة التي لا مثيل لها هي التي عاشتها الجزيرة العربية وقت تلقي هذه الرسالة [3]

---

[1] Malek bennabi :le problème des idées dans le monde musulman ،page 51

[2] الكبار عبد العزيز : قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الأنثروبولوجية ،كلية الأداب والعلوم الانسانية والاجتماعية،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان، 2001_2002،ص125

[3] الكبار عبد العزيز : قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ، ص 127

وهي بدورها قدمت تغييرات في عدة جوانب : ففي الإطار المادي رسمت الرسالة آثار جديدة ، وقد بدت تلك اللحظة فيما فعله المهاجرون والأنصار إذ وضعو مواردهم على سواء بينهم ليواجهوا المرحلة الجديدة أما في الإطار الفكري فقد أوجدت تلك اللحظة العديد من المقاييس في أسلوب التفكير لتلائم أوامر تنظيم جديد وتوجيه لنشاطات مجتمع وليد [1]

وأخير في الإطار النفسي والأخلاقي أنشأت الطاقة الحيوية مراكز إستقطاب جديدة ترتكز حول أفكار ومفاهيم جديدة ونماذج مثالية لعالم ثقافي جديد، كانت ترتكز حتى درجة الإنفجار وكانت تنفجر في مواقف إنسانية من نوع جديد، مثلا رجلا يقبل امرأة تلك اللحظة تتجاوز فيها الطاقة الحيوية حلولها الجديدة، فتنطلق قوى التذكيربالعالم الثقافي الجديد وما يلبث الرجل أن يفضي بمكنونه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والجواب الذي ينهي المأساة قد جاء في هذه الآية قال تعالى: <<أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات تذهبن السيئات>> سورة هود الآية 114. ان الأحداث المأسوية التي كانت تدور حول مراكز الاستقطاب الجديدة وحول النماذج المثالية للعالم الثقافي الجديد لم تكن تعني أصحاب تلك الأحداث فحسب بل كانت تشمل في توترها جميع أفراد المجتمع. في هذا الجو الشديد الحماسة أخذت الأفكارالمطبوعة تتعمق في سائر الأفكار الموضوعة وفي هذه الظروف يمكننا أن ندرك أن لدى كل فرد حساسية أخلاقية وجمالية شديدة [2].

2)العلاقة بين الأفكار المطبوعة والأفكار الموضوعة : ليس هنالك تناقض بين الأفكار المطبوعة والأفكار الموضوعة حسب مالك بن نبي، بل إنه يراهما متلازمان ويتبادلان علاقة التأثير والتأثر فإذا إنحرف الأفراد في المجتمع عن سياق الأفكار المطبوعة أصاب الخلل بالضرورة الأفكار الموضوعة. يقول مالك بن نبي : << وعندما تبدأ الأفكار المطبوعة تنمحي عن أسطوانة حضارة، تخرج منها في البداية نشاز نغمي ضغير ثم حشرجة ثم الصمت أخيرا >> [3]. وهنا يشبه بن نبي الأفكار المطبوعة التي تبدأ في الضياع

[1] مالك بن نبي : تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي ، ص 31
[2] مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي ،ص 73
[3] الكبار عبد العزيز : قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ، ص 126

داخل حضارتها يشبهها بالصوت الذي تصيبه البحة مما يؤدي به للصمت . ويضيف مبينا هذه العلاقة المتكاملة والتفاعلية بينهما : << وعندما تنمحي النماذج المثالية عندئذ لا تسمع أبدا لهجة الروح في تناغم اللحن، فالأفكار الموضوعة حينما تفقد جذورها في الغلاف الثقافي الأساسي تصمت هي بدورها، إذ لم تعد لديها ما يعبر عنها ثم إنها لم تعد تستطيع أن تعبر عن شيء >> [1].

يعالج بن نبي العلاقة بين الأفكار المطبوعة والأفكار الموضوعة مشبها إياها بالأسطوانة، فالتوافقات الخاصة بالأفراد والأجيال حينما تنشد الأسطوانة نشيدها هي الأفكار الموضوعة، وفي علم الطبيعة العلاقة بين التذبذب الأساسي وتوافقه مع موسيقاه يكمن في أن هذا الأخير يختفي فور توقف الأول عن التذبذب [2]، والأمر نفسه بين الأفكار المطبوعة والأفكار الموضوعة ويضرب مالك بن نبي أمثلة كثيرة من السيرة النبوية في بداية الدعوة كلذين لم يلحقوا بالمسلمين في غزوة تابوك بعد أن كانوا متخلفين وهم كعب بن مالك، مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي ويبرز القرآن مقدار التوتر المتفجر في ضمير أولئك الذين عاشوا هذه الحادثة ثم يورد لنا الخاتمة في الآية التالية :<< وعلى الثلاثة الذين خلفوا إذا ذاقت عليهم الأرض بما رحبت وذاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم >>سورة التوبة الآية 118. لم يكن ذلك اليوم بشرى للرجال المتخلفين فحسب بل كان للأمة بأسرها وفي هذا الجو المتوتر كانت الأفكار المطبوعة تصنع بصماتها المقدسة في جميع الأفكار الموضوعةوفي جميع المواقف والأمكنة [3].

وبعد أن عاش المجتمع الإسلامي كما قال مالك بن نبي اللحظات المجيدة عاد في الوقت الحاضر ليعيش في عصر صمت وماهو غير طبيعي في المجتمع الإسلامي المعاصر، هو جموده وخموله في هذه المرحلة كما لو كان يريد الخلود وهو على حالة

[1] مالك بن نبي: في مهب المعركة ،ط 3،دار الفكرللطباعة والنشر،دمشق ، 2002، ص 136
[2] عمر كامل مسقاوي : في صحبة مالك بن نبي، ج2، ص 1032
[3] مالك بن نبي :مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي ،ص 74

الجمود والخمول، بينما مجتمعات أخرى يراها مالك بن نبي أنها بدأت من نفس النقطة وتخلصت من ركودها وفرضت على نفسها ظروف جديدة ونظرية جدلية عن التاريخ، وعندما تخبو الحساسية الأخلاقية والجمالية فإن مقدار فنائها يدل على مقدارعدم تماسك عالم الأفكار، وعلى إنحطاط إجتماعي بصفة عامة وعندما تنمحي النماذج المثالية، حين إذ لا تسمع أبدا لهجة الروح في تناغم اللحن[1].

في الأخير يمكن القول أن الأفكار الموضوعة حينما تفقد جذورها في الغلاف الثقافي الأساسي تصمت هي بدورها لأنه لم تعد لديها ما تعبر عنه فيتفتت المجتمع الذي يصل إلى هذه الدرجة كما هو الشأن في الجزائر بعد الثورة وكما هو الشأن في المجتمع الإسلامي، فبعد أن عاش هذا المجتمع الأفكار المطبوعة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، وعاش أفكاره الموضوعة في الفترات المضيئة لدمشق وبغداد، فإن المجتمع الإسلامي المعاصر يعيش فترة صمت ، إنها لحظة الأفكار الميتة وإنه لوقت مؤلم أن يتمزق المسلم لشطرين ، المسلم وهو يمارس عبادته داخل المسجد والمسلم خارج المسجد غارقا في عالم آخر مختلف كل الإختلاف، والمجتمع الإسلامي الحاضر يدفع ثمن خيانة نماذجه المثالية

المبحث الثالث : الأفكار الميتة والأفكار المميتة عند مالك بن نبي

حينما مرأمير الشعراء أحمد شوقي بباريس ألهمه ظرف معين فأنشد قصيدة حيا بها مدينة الأنوار ، ولم يكن يدري أنه أتاح بذلك الفرصة التي سوف تستغل يوما ضده من بعض دعاة الحياد الثقافي الزائف ، وهو ما لاحظه مالك بن نبي عند محاورته لأحد خريجي جامعة الزيتونة ومحتوي هذه الحادثة أن هذا الزيتوني إنتقد قصيدة للشاعر أحمد شوقي مدح فيها باريس فإنتقد هذا الخريج القصيدة لأنها مجدت الأثرالمفسد لتلك الثقافة الغربية فأفسدت هذه القصيد حسب رأي الزيتوني نسبة كبيرة من النخبة المسلمة . وقد إستمع بن نبي لهذا الخريج وهو على علم أن رأيه في أحمد شوقي لم يكن رأيه الشخصي ولكنه الرأي

[1] مالك بن نبي: تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،ص33

الذي تكون في عالم ثقافي تجاوزت في داخله أفكار مسلخة عن جذورها، وهي تسمى الأفكار الميتة مع أخرى استوردت بصورة سيئة من الخارج من عالم ثقافي آخر تركت جذورها فيه فأضحت بذلك مميتة وهذا ما أسماه بن نبي بالأفكار التي دخلت على العالم الإسلامي و أضرت به ففي ماذا تتمثل هذه الأفكار الميتة والمميتة التي تحدث عنها بن نبي؟ وما علاقتهم ببعضهم؟

1)**الأفكار الميتة وأعراضها :** يقول خريج جامعة الزيتونة : (ماهو خطأ شوقي الكبير في نظر المستعمر والقابل للإستعمارالرفيع؟) خطأه كما يقول هذا الخريج هو تمجيده الأثر المفسد لتلك الثقافة الغربية التي ربطت 90 بالمائة من النخبة المسلمة بإدراك أو بغير إدراك منهم في خدمة الإستعمار وأن خطر هذا التأكيد يبرز في أن المظاهر تؤيده وما يهمنا من ذلك كله الواقع المرضي الذي يكمن وراء هذا التأكيد وتلك المظاهر إنها الأفكار الميتة وهي الأفكار التي بها خذلت الأصول ، وهي الأفكار التي إنحرفت عن مثلها العليا ولذا ليس لها جذور في العصارة الثقافية الأصلية و التي نتجت عن إرثنا الإجتماعي [1] .

يقصد مالك بن نبي من الأفكار الميتة تلك التي فقدت الحياة وقد ورثها العالم الإسلامي منذ فترة عصر الإنحطاط أي عصر إنسان ما بعد الموحدين وتمثل الجانب السلبي في نهضته وهي أخطر من الأفكار القاتلة (المميتة) . ويمدنا مالك بن نبي بمثال حي يفسر لنا ظاهرة الأفكار الميتة في المجتمعات الإسلامية فالحاج الذي ينزل بميناء جدة يسر حينما يفاجأ بقرأة إعلان معلق على أحد الأبواب مكتوب عليه هيأة الأمر بالمعروف ثم عندما يتقدم خطوة بالبلد يبدأ في إكتشاف حقيقة يبدوا إزائها الإعلان مجرد سخرية إنه فكرة ميتة [2].

ويرى مالك بن نبي أن الأفكار الميتة التي ورثها العالم الإسلامي من عصر ما بعد الموحدين هي الأخطر وإن هذه الأفكار التي لازالت - بإعتبارها أصبحت ميتة - تكون الجانب السلبي في نهضتنا قد كانت تكون الجانب الإيجابي (القتال في عهد التقهقر والأفول

[1] مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 147

[2] الكبار عبد العزيز : قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ، ص 127

الذي مرعلى الحضارة الإسلامية هذه الأفكار اذن كانت قاتلة في مجتمع حي) قبل أن تصبح ميتة في مجتمع يريد الحياة غير أنها بكل تأكيد لم تولد بباريس أو لندن بل ولدت بفاس والجزائر وتونس والقاهرة [1]. ولقد هيمنت الأفكار الميتة على المجتمع الإسلامي وقد ترتب عنها إنفصال بين الإنسان المسلم وأفكاره المطبوعة لذلك فهو اليوم يدفع ثمن إنفصاله عن نماذجه الأساسية

وتتجلى أعراض الأفكار الميتة في سلوك الإنسان المسلم فهو يتعامل مع عالمه الديني ويتضح سلوكه الديني في ممارسته لواجباته الدينية والمسلم العملي الذي ينفصل عن هذا العالم الروحي ليندمج في عالمه الإجتماعي بكيفية مغايرة لا يحددها عالمه الأصلي (الديني) وهذا يدل على ذلك الإنفصال بين البعدين الديني والإجتماعي [2]. ويجب أن نطبق تفكير باستور في المجال البيداغوجي والتربوي كما يرى بن نبي وذلك كي ندرك الجانب المرضي في مشكلة الثقافة عندنا. وهذه الأخيرة يدل عليها مالك بن نبي بالصورة التي أعطاها الكاشاني عن الجانب المرضي في المجال السياسي اذ تمثلت فيه الفكرة الميتة التي خدعت وخذرت قوى الدفاع الذاتي في ضمير الشعب الايراني ويرى بن نبي أنه من الجدير بالملاحظة أن دكتور مصدق لم يسقط تحت ضربات الإستعمار ولكنه خر تحت ضربات القابلية للإستعمار الناطقة بإسم الله والوطن [3].

ومصطلح القابلية للإستعمارهو من أشهر المفاهيم التي أطلقها مالك بن نبي وهو يعني غالبا التخلف الحضاري الذي أصاب المسلمين في العصور الأخيرة مما يجعل عدوهم يتغلب عليهم ويستعمرهم ويفرض عليهم مدنيته ، أي أن هناك فوضى إجتماعية معينة وتقاعس عن أداء الواجبات ، وقلة في العلم والمعرفة أمام خداع الإستعمار ومكره مما يجعله يسير بلدا كبيرا بعدد قليل من الجنود ، هذا الوضع المتخلف هو الذي يسهل سيطرة الغزاة، ربما يكون تركيز بن نبي على هذا المصطلح لأن كثير من المسلمين يحاولون تعليق

[1] عمر كامل مسقاوي : في صحبة مالك بن نبي ، ج 2 ، ص 1035
[2] الكبار عبد العزيز : قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ، ص 127
[3] مالك بن نبي: في مهب المعركة، ص 130

تخلفهم وضعفهم وقلة حيلته على الإستعمار فأراد مالك أن يرجع المشكلة إلى سببها الأول ، وهو القابلية للإستعمار[1].

3)الأفكار المميتة : و ما إن نبدأ بمعالجة الأفكار الميتة في العالم الإسلامي حتى نصطدم بالأفكار المميتة وهي الأفكار المستعارة من الغرب وهي الفكرة التي فقدت هويتها وقيمتها الثقافيتين بعد ما فقدت جذورها التي بقيت في مكانها في عالمها الثقافي الأصلي ووفدت إلى عالمنا الإسلامي ، وأحيانا يجسد الأشخاص أنفسهم ظاهرتي هذه المشكلة فالفيروس الوراثي فيهم يمتص الميكروب الخارجي الوافد إليه أي أن الفكرة الميتة التي يحملها تنادي وتستدعي الفكرة المميتة التي تلقاها المجتمع الإسلامي [2].

الأفكار القاتلة هي التي تستعار من الغرب في شكل نظريات ومشاريع إقتصادية وسياسية يتم تجسيدها في المجتمعات الإسلامية التي تتميز عن المجتمعات الغربية بخصوصياتها التاريخية والثقافية والحضارية [3]. ولو تخيلنا قوما من الأمازون أو من الأدغال الإفريقية بعالمهم الفكري المتواضع وعاداتهم وتقاليدهم وتراثهم قد تم نقلهم إلى ألمانيا بينما نقل الشعب الألماني إلى إفريقيا أو إلى الأمازون فالأمر الذي سيحدث هو الألمان سيعمرون المناطق الأمازونية والإفريقية ويصلحونها بينما ستدمر ألمانيا ببنائتها وحضارتها وشوارعها على يد القبائل البدائية وذلك لغياب الأفكار الحية [4] . ونلتمس الأفكار القاتلة في المشروع العلماني الذي توافد إلينا من الغرب بشقيه الليبيرالي والماركسي.

4)العلاقة بين الأفكار الميتة والأفكار المميتة : إن العلاقة بينهما هي متكاملة وقد نجد أحيانا دور الأفكار الميتة ودور الأفكار القاتلة يتمثلان في شخصية واحدة تمثل المظهرين وهناك رابط مستمر بين الأفكار الميتة التي إنتهى زمانها والأفكار المميتة التي تمتص الأفكار الميتة من جهة أخرى ذلك ما يحدد خيار النخبة ليس مضمون الثقافة الغربية بل

[1] محمد العبدة:مالك بن نبي مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي،ط 1،دار القلم لطباعة والنشر والتوزيع،دمشق ، 2006،ص80
[2] مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص 149
[3] الكبار عبد العزيز: قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير ، ص 127
[4] مالك بن نبي : تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 63

مضمون الوعي في عالم ما بعد الموحدين لأن العالم الثقافي الغربي ليس كله مميتا إذ أنه ما يزال يبعث الحياة في حضارة تنظم حتى الأن مصير العالم والعنصر المميت في الحضارة الغربية هو الذي يمثل الجزء الميت من تلك الحضارة [1].

لقد كان من الصعب لمالك بن نبي إقناع الناقد الزيتوني المحترم لأحمد شوقي بالرابط الكامن والمستقر بين هذين المظهرين المرضيين بمعنى أن فكر ما بعد الموحدين هو الذي ينضح الأفكار الميتة من جهة ويمتص الأفكار المميتة من جهة أخرى لذلك ليس المقصود في الواقع أن نتسائل لماذا توجد عناصر مميتة في الثقافة الغربية، بل يجب أن نتسائل لماذا تذهب النخبة المسلمة بالضبط هناك عن هذه العناصر وهذه المشكلة التي يتوجب طرحها [2].

يمكن القول أننا وصلنا لحقيقة في منتهى الوضوح وهي أن كل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله لكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الإجتماعي أفكارا ميتة تمثل خطر أشد عليه من خطر الأفكار القاتلة فالأفكار الميتة تظل منسجمة مع عاداته وتنخر كيان المجتمع من الداخل وهي تستطيع ذلك لأنها تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه وعالم الأفكار عند مالك بن نبي هو العالم الأحق بالمعالجة فهو يحتوي على أفكار حية وأفكار قاتلة وعندما نستقدم عالم الأفكار الحية وننفي منه عالم الأفكار المميتة فإن الحياة تدب في المجتمعات . فإذا زرعت في منظومة معينة قيم السكون والخضوع والذل والإستسلام أوغذيت أفكارا إستهلاكية تدعوا للترف في مجتمع ما ، فإنك تستطيع أن تقول أن هذا المجتمع آيل للإنهيار وإن أزيلت هذه الحشائش الضارة من الأفكار فإن هذا المجتمع ينمو ويتطور.

في الأخير ومن خلال ما قدمناه نستنتج من أنه لا مفر من إحترام علاقة الأفكار بمقاييس نشاطنا حتى لا تتصادم الأفكار والعقل أو تصبح مستحيلة، وإذا طرأ فسادا على روابط الأفكار لابد وأن يتولد عنه خلل في الحياة الإجتماعية وإنحراف في سلوك الأفراد. وعندما يسود عدم التماسك في عالم الأفكار نضع علامات ذلك في أبسط

[1] عمر كامل مسقاوي : في صحبة مالك بن نبي ، ج 2 ، ص 1039
[2] مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 149

الأنشطة، وعندما يمس العلاقات المنطقية ينبغي أن نتوقع شتى أنواع اللبس في العقول. **كما** أن الأفكار الموضوعة والأفكار المطبوعة حينما تفقد جذورها في الغلاف الثقافي الأساسي تصمت هي بدورها لأنه لم يعد لديها ما تعبر عنه فيتفتت المجتمع الذي يصل لهذه الدرجة وهو ما حل بالمجتمع الإسلامي. كما نستنتج أيضا أن المجتمع الإسلامي الحاضر يدفع ثمن خيانة نماذجه، وأن كل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله، لكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الإجتماعي أفكارا ميتة تمثل خطر أشد عليه من خطر الأفكار القاتلة، فالأفكار الميتة تظل منسجمة مع عاداته وتنخر كيان المجتمع من الداخل وهي تستطيع ذلك لأنها تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه

الفصل الثاني:

الأفكار وعالم الإنسان عند مالك بن نبي

المبحث الأول : الأفكار والطفل عند مالك بن نبي

المبحث الثاني : الأفكار والمجتمع عند مالك بن نبي

المبحث الثالث : الأفكار والسياسة عند مالك بن نبي

لايستطيع الإنسان المنعزل أن يعيش طويلا في وحدته ، دون أن يصنع لنفسه وفي فترة من الزمن محدودة بالضرورة ، التجربة الأزلية التي يتكيف بها المجتمع مع بيئته ، فإما أن تبدأ مغامرته إنطلاقا من صفحة بيضاء خالية من الأفكار، وإما إنطلاقا من صفحة بيضاء خالية من الوسائل والأشياء،وهذا ما يحدث للطفل الذي هو إنسان منعزل في طريقه إلى الإندماج، ولابد له أن يمر بهذه السياقات، كيما يحقق إندماجه المناسب، كما أن المجتمع المتخلف ليس موسوما حتما بنقص في الوسائل المادية وإنما بإفتقار للأفكار وهذه القاعدة تعود على جميع مجالات الحياة الإنسانية من سياسة وإقتصاد وثقافة ...الخ وإن الإنسان حينما ينظم شبكة علاقاته الإجتماعية بوحي الفكرة في إنبثاقها فإنه يتحرك في مسيرته بين الأشخاص والأشياء المحيطة به، لكن طغيان الشخص قد يؤدي إلى نتائج في الإطار السياسي والإجتماعي تهدم بنيان الفكرة حينما تتجسد فيه ومن هنا نلاحظ أنه هناك علاقة وطيدة بين الحياة الإنسانية وعالم الأفكار وهو ما جعلنا نتسائل : ما دور الأفكار عند مالك بن نبي في سير وتقدم حياة الإنسان والمجتمع والسياسة بإعتبار أن الأفكار ميزة من ميزات الإنسان ؟

المبحث الأول : الأفكار والطفل عند مالك بن نبي

مهما تكن درجة تجريد الإنسان والنموذج الذي يمثل فإن نشاطه يخضع دائما في ضمان بقائه لتطورات نفسية بدنية ، نرى مثلها في سائر أشكال النشاط البشري والشكل الأبسط يتجلى في عمل الحرفي المنكب على عمله والمقص في يده ، وبالحارث المنحني على محراثه ، والجندي المسلح ببندقيته ، في سائر هذه الحالات فالعمل سواء الحرفي ، الزراعي أو الحربي يتم إنطلاقا من عنصرين ظاهرين الإنسان والآلة لكن العمل لا يتم فعليا إلا في ظروف تتوافق بالضرورة مع سؤال : كيف؟ ولماذا؟ بمعنى أننا لا نعمل إلا طبق خطة حتى لا يكون العمل مستحيلا أو عابثا يفقد سببه ، لابد من عنصر فكري يمثل المسوغات والأنماط التنفيذية التي تلخص كل تقدم تقني لمجتمع ما بما يميزه عن غيره من المجتمعات فالفكرة السابقة على العمل هو عامل تمييز في المستوى

البشري ، من هنا نستطيع أن نحدد عناصر العمل في نهاية التحليل في فئات ثلاث : فئة الأشياء فئة الأشخاص فئة الأفكار ومن ثم فجميع الخصائص الإجتماعية، الإقتصادية، السياسية ، لعمل ما تنطبع بالضرورة في مجموعتها الخاصة بواحدة من تلك الفئات الثلاث على الشبكة العامة لكل عمل وما يهمنا هنا هي فئة الأفكار ومنه نتسائل ما دور الأفكار في سير وتقدم حياة الإنسان في مرحلة طفولته عند مالك بن نبي ؟ .

إن للفيلسوف الألماني كارل ماركس *فكرة عبقرية هي أن المهندس الذي يريد أن يبني خلية من الشمع يبنيها في ذهنه أولا فيتكون من عنصرالنشاط شبكة منسوجة من فئة الأشخاص وفئة الأشياء وفئة الأفكار، وتكون هذه الشبكة بسيطة التركيب في حالة الفرد المنعزل (لعدم وفرة الأفكار أو وفرة الأشياء) [1].

1)**مراحل إندماج الطفل حسب بن نبي :** بمقدار ما يندمج الفرد في مجتمع ما يقوم على نظام تقسيم العمل ، فإن العنصر الفكري يأخذ أهميته تدريجيا في نشاط الفرد الذي يتحتم عليه أن يتخصص وأن يحترم القواعد والأصول المتبعة في النشاط الإجتماعي، وتكمن الإشتراطات المعنوية والفنية لهذا الإندماج في الخطة النفسية البدنية التي ليس من السهل إستيعابها [2] .

والطفل إنسان منعزل في طريقه إلى الإندماج لابد له أن يمر بهذه السياقات، لكي يحقق إندماجه المناسب ، وغني عن البيان أن العائلة والمدرسة تساعدانه في ذلك ، هذه المساعدة الإجتماعية تستطيع بل ويجب أن تعمل بطريقة تختصر وتكمل عملية إندماج

*كارل ماركس : فيلسوف وإقتصادي ألماني ولد سنة 1818 م ثتةفي سنة 1883 م ، كان له حماس وفضول كبير إتجاه فلسفة هيغل ، وقد تخرج بدكتوراه في الفلسفة سنة 1831 م وكان عنوان أطروحته الفرق في فلسفة الطبيعة بين ديموقريطس وأبيقور وفي سنة 1842 بدأت رحلته كصحافي ثم تعرف بعدها بالفيلسوف الإنجليزي فريديريك إنجلز وكتبا معا عدة مؤلفات من بينها الإيديولوجيا الألمانية ،ومن كتب ماركس نجد بؤس فلسفة ، نقد فلسفة هيغل في الدولة، نقد النقد، العمل المأجور والرأسمال، نقد الإقتصاد السياسي، الأجر والسعر والربح، نقد البرنامج الإشتراكي الديموقراطي وكان له الدور الأكبر في تشكيل رابطة الشيوعيين وأوكلت لماركس وإنجلز مهمة كتابة بيان للرابطة يكون بمثابة برنامج ثوري جديد والذي سمي ببيان الحزب الشيوعي ** جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ص 618

[1] مالك بن نبي: تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 13

[2] مالك بن نبي: تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 15

الطفل فهي لا تستطيع أن تلغيه ويقول مالك بن نبي فالنتابع ببساطة خطواته لندرك مراحل ذلك الإطراد :

عندما يرى الطفل النور تكون الأشياء والأشخاص والأفكار منتظمة حوله في ثلاثة عوالم غريبة عنه فيده بالنسبة إليه شيء تسليه كما يسليه المصباح المتدلي فوق سريره، وذلك شيء آخر لم يندمج بعد في ذاته غير أنه يبدأ على الأقل يشعره بأن حوله عالم من الأشياء ، في هذه المرحلة ليس لديه بعد أي إدراك لعالم الأشخاص ، حيث لا يتعرف على وجه أمه التي بالنسبة إليه سوى الثدي الذي يغذيه ، شيء يمكن للرضاعة أن تحل محله بسهولة، إذا ما أفتقدت الأم لحادث سوء، إنه لا يتعرف على نفسه ككيان مكتمل [1] . وشيئا فشيئا يكتسب خبرة في عالم الأشياء، فبصره يبدأ يشعره بالوجوه ، فيتعرف على وجه أمه أولا، ثم وجه عائلته وهذه الوجوه جميعا تبدأ في أن تشكل من حوله عالم الأشخاص الغريب وإطمئنانه إلى هذا العالم لم يأخذ مداه بعد وحتى حين يكون له من العمر ثلاث أو أربع سنوات فيكفي أن ندعه وحيدا على الرصيف بالقرب من عتبة المنزل فنرى كيف ترتسم في الحال على وجهه كآبة الوحدة التي يشعر بها أمام المارة الذين لا يعرفهم [2].

وإكتشاف عالم الأشخاص يتفاوت من طفل لآخر فالمنفتح يكتشف عالم الأشخاص بسرعة أكثر من النموذج المنغلق وهذا الأخير يكتشف عالم الأفكار ولكن دون أن يختصر المراحل وهكذا فإندماج الطفل في المجتمع هو إندماج بيولوجي ومنطقي في آن واحد إنه يشتمل على أعمار ثلاثة : العمر الذي يكتشف فيه عالم الأشياء تلقائيا ، ثم العمر الذي يكتشف فيه تدريجيا عالم الأشخاص ، وأخيرا العمر الذي يكتشف فيه أخيرا عالم الأفكار [3]

2)**عالم الأفكار والطفل** : وهو ما يهمنا لنتناوله بالتحليل فقد يتعرض الطفل إلى الفشل مصحوبا أحيانا باليأس حسب مالك بن نبي ، فينبغي مراقبة الطفل لكي نقدر مجهوده غير أن هذه المآسي الصغيرة تمر غير ملحوظة من جانب الأسرة أو المدرسة ، وقد يتذكر

[1] Malek bennabi : le problème des idées dans le monde musulman page 17

[2] مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 34

[3] عمر كامل مسقاوي : في صحبة مالك بن نبي ، ج 2، ص 1025

الطفل مرات إصطدامه أمام صعوبة معينة – لم يكن قد تغلب عليها – أو يكون عقله وفكره قد أوضحا له الحل المناسب وهذه الفترة تقع بين سن السابعة والثامنة حين يضع قدمه في عالم الأفكار دون الإعتماد على غيره ، وهي خطوة فاصلة عن طريق إندماجه الإجتماعي وعندما يتجاوز عالم الأفكار يضع قدمه في عالم ثقافي أو في أنظمة أيديولوجية تميز بين المجتمعات ، فمنها المجتمعات الملتزمة بأفكار معينة ومنها المحايدة ومنها التي في طريقها إلى الأفول وهذا الكشف يطور كيانه النفسي وينعكس على كيانه الجسدي فهناك مظاهر خارجية تفرق بين الأمي وبين من نقل فكرة أو قرأها أو عبرعنها والخط المميز في وجه الطفل هو الفم المفتوح وبمقدار تقدمه في السن وبتأثير من طاقته الداخلية المستمدة من عالم الأفكار يقفل فمه تدريجيا [1].

وهكذا يمكننا القول أن الإندماج يأخذ مداه بإطراد في سائر مراحل الحياة : النضج ، الشيخوخة ، ومابعد الشيخوخة ، لتتحول شيئا فشيئا إلى إطراد نحو عدم الإندماج ، ففي الشيخوخة يبدأ الفرد يعكس خط سيره، ويعود القهقري في مراحل حياته النفسية ويترك على التوالي : عالم الأفكار بفقدانه كل قدرة خلاقة ، وعالم الأشخاص نتيجة اللامبالاة أو النفور، وعالم الأشياء نتيجة الضعف وعدم الإقبال. وهكذا يرحل أخيرا عن الحياة في نهاية عملية كاملة. لقوله تعالى : << الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة>> الروم -54- وهذه العوامل الثلاثة تتعايش طيلة حياة الإنسان جنبا إلى جنب مع تفوق إحداها تبعا للفرد والنموذج الذي يندمج فيه فالفرد يدفع جزية إندماجه الإجتماعي إلى الطبيعة والمجتمع وكلما إختل نمو المجتمع إرتفعت الجزية

المبحث الثاني : الأفكار والمجتمع عند مالك بن نبي

من بديهيات الطبيعة الإنسانية الميل الفطري إلى الإجتماع والتآلف في إطار نشاطات موحدة ، وكثيرا ما يستحضر في هذا السياق كلام إبن خلدون (الإنسان إجتماعي بطبعه) وهذا الطبع بمفهوم النص القرآني يتحدد في الفطرة التي أودعها الله في الكائنات كلها يقول

[1] مالك بن نبي : تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص 14

مالك بن نبي : (ففي مستوى حشرة بسيطة كالنحلة نرى أن الحياة الإجتماعية ضرورة لكيان الفرد فهو يلقي بنفسه إلى التهلكة إذا إنفصل عنها ، الإنسان شأنه في هذا شأن النحلة، إنه لا يستطيع أن ينعزل عن المجتمع ويحاول بجهده الخاص أن يقوم بذلك إذ مصيره من غير شك يؤدي به إلى الموت لو إبتعد عن الحياة الإجتماعية) [1]. ومنه فيما يتمثل دور الأفكار ومكانتها في المجتمع بإعتبارأن الإنسان إجتماعي بطبعه والأفكار هي ما تميز الإنسان عن غيره من الكائنات ؟

1)**ماهية المجتمع حسب بن نبي** : المجتمع في اللغة موضع الإجتماع، ويطلق في إصطلاحنا على الجماعة من الأفراد يجمعهم غرض واحد، أو على الإجتماع الإنساني من جهة ماهو ذو صفات متميزة عن صفات الأفراد، ويطلق لفظ المجتمع بمعنى أخص على المجموع من الأفراد تؤلف بينهم روابط واحدة تثبتها الأوضاع والمؤسسات الإجتماعية، ويكفلها والرأي العام، بحيث لا يستطيع الفرد أن يخالفها أو ينحرف عنها إلا إذا عرض نفسه للعقاب ويطلق لفظ المجتمع على الإجتماع في الأسرة أو القرية أو القبيلة أو المدينة أو المعمورة [2]. وقد أشار مالك بن نبي إلى المجتمع الحيواني (النحل) لتعميق فهم فطرية الإجتماع البشري وأنه معطى كوني قبل أن يكون بشريا محضا ، فالنحلة لا تنفصل عن مجتمعها ، لأنها ستموت حتما مهما يكن في الطبيعة من زهور ومهما يكن من طاقات العمل.

لأن الله عز وجل ربط كيانها بهذا المجتمع وأودع في نفسها وفي غريزتها سرالحياة الإجتماعية [3] ومكمن الإختلاف بين المجتمع الحيواني والمجتمع الإنساني هو طبيعة الأهداف التي تحرك كل منهما نحو افراده فإذا كانت وظيفة المجتمع بصفة عامة هي حفظ كيان الفرد وتحقيق أهداف معينة له فإن هذه الأهداف تتلخص في مستوى الحشرات في

[1] مولاي الخليفة لمشيشي: مالك بن نبي دراسة إستقرائية مقارنة،ط 1، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق،2012،ص 115

[2] جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ط 1 ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ج 2، 1982 ص 345

[3] مالك بن نبي : تأملات، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق، 2002،ص156

حفظ النوع ، لكنها في مستوى الإنسان أكبر من مجرد حفظ النوع إلى الإرتفاع بمستوى النوع وجهة الحضارة [1].

وإن سلمنا ببديهية أن الفرد إذا إنعزل عن المجتمع فمصيره الموت فإن هذا يؤدي بنا حسب بن نبي إلى أن نتسائل ، هل الفرد يعيش ويحقق قسطه من الحياة ومصلحته فيها بمجرد إتصاله بشيء نسميه المجتمع أي بعدد من الأفراد؟ هنا يقول مالك بن نبي : << يبتدىء عندنا لبس أدى للأسف في التاريخ القريب ، أي في الأربعين سنة أو الخمسين سنة التي مضت ، إلى غلطات إرتكبناها لأننا لم ندقق في مصطلحات الإجتماع ، ففهمنا أن المجتمع إنما هو عبارة عن عدد من الأفراد يعيشون كما يشاؤون مهما كانت الصلات بينهم ليس هذا هو المجتمع هذا يمكن أن نسميه بقايا مجتمعات أو بداية مجتمعات قبل أن تقوم بوظيفتها التاريخية ، المجتمع الذي يقوم بوظيفته نحو الفرد ويحقق راحة الفرد فإنه لابد فهم معناه فهما دقيقا ، فهو ليس عددا من الأفراد وإنما هو شيء خاص ، هو بنيان وليس تكديسا من الأفراد بنيان فيه أشياء مقدسة متفق عليها ، فقبل أن تتجمع الأفراد تكون هناك فكرة عامة هي التي تؤلف بين الأفراد في المجتمع ، فإذا فقدت هذه الفكرة فقد فقدت الصلات بين الأفراد ، وتفكك المجتمع وضاعت المصلحة التي كانت تتمثل فيه فيضيع المجتمع ويضيع افراده أيضا >> [2].

2)دور الأفكار في تطور المجتمع : والمجتمع شأنه شأن الفرد يمر في تطوره بثلاث مراحل : مرحلة الشيء ، مرحلة الشخص، مرحلة الفكر. لكن الإنتقال هنا من مرحلة إلى أخرى ليس بالوضوح الذي رأيناه عند الطفل فيما سبق ، فكل مجتمع مهما كان مستواه من التطور له عالمه الثقافي المعقد ، ففي نشاطه المتناغم هنالك تشابك بين العوالم الثلاثة : الأشياء ،الأشخاص ، والأفكار وغني عن البيان حسب مالك بن نبي أن خطة هذا النشاط – مهما كان بدائيا – تنطوي بالضرورة على مسوغات وأنماط تنفيذية (بواعث في المستوى الأخلاقي وأفكار تقنية) ولكن يظل هنالك دائما رجحان لهذه العوالم الثلاثة وهو كل ما يميز

[1] مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، تر عبد الصبور شاهين، ط 3، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق،ج 1، 1986،ص65
[2] مالك بن نبي : تأملات ، ص 157

مجتمع عن سواه من المجتمعات ، فالمجتمع المتخلف ليس موسوما حتما بنقص الوسائل المادية (الْأشياء) وإنما بإفتقار للأفكار يتجلى بصفة خاصة في طريقة إستخدامه للوسائل المتوفرة لديه ، بقدر متفاوت من الفاعلية ، وفي عجزه عن إيجاد غيرها وعلى الأخص في أسلوب طرح مشاكله ، أوعندما يتخلى عن أي رغبة أو متردد في التصدي لها [1].

ووفقا لتعبير الإقتصاديين الدارسين لمشاكل العالم الثالث فالآرض الوسيلة الآصلح لتأمين إقلاع مجتمع ما يمر في مرحلته الإبتدائية ويتأهب للإنتقال لمرحلة ثانوية كالصين الشعبية سنة 1951 لكننا نلاحظ أن أكثر الأراضي خصوبة في العالم الموجودة في العراق وأندونيسيا لم تمكن هذين البلدين من الإقلاع ، فهناك فاقة حقيقية في الأفكار حسب بن نبي تظهر في المجال السياسي والإقتصادي على شكل موانع كابحة ، تتوافق من وجهة نظر علم الإجتماع مع الخصائص النفسية والإجتماعية التي يتميز بها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر

3)مراحل التحضر في المجتمع : يقدم بن نبي تفسيرا نفسيا إجتماعيا بروجوعه إلى الأزمنة الثلاثة ، والتي سنجد مسوغاتها بسوابق المجتمعات المعاصرة وهذه الأزمنة هي : مرحلة المجتمع قبل التحضر. ومرحلة المجتمع المتحضر. وأخيرا مرحلة المجتمع بعد التحضر [2] .

والمرحلة الأولى هي مرحلة الإنسان الفطري أو الطبيعي وهو على إستعداد للتغيير الإجتماعي كحال العرب في الجاهلية ، والمقصود بالجاهلية تلك الفترة التي كان الجهل فيها وثنية لأنه لا يغرس أفكارا ، بل ينصب أصناما تعبد بجزيرة العرب فلم يكن قبل نزول القرآن إلا شعب بدوي يعيش في الصحراء

[1] مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 35
[2] مالك بن نبي : تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 16

وبنزول الوحي بدأت مرحلة التحضر وهي مرحلة رئيسية في بزوغ فجر جديد ، فجر تشييد صرح حضارة إسلامية بدأت تتوسع وتنتشر فوق سطح المعمورة [1] .

- أما المرحلة الثالثة وهي التي تهم مالك بن نبي وهي مرحلة مابعد التحضر. ويرى بن نبي أن المؤرخين يميزون جيدا بين مجتمع ما قبل التحضر والمجتمع المتحضر ، أما مجتمع مابعد التحضر فيرون أنه يواصل سيره بكل بساطة عن طريق حضارته ، فمجتمع ما قبل التحضر يتميز بخصائص تختلف عن مجتمع ما بعد التحضر فإذا تتبعنا مراحل تكوين مسيرة المجتمع بالتقويم الهجري في ولادتها النفسية والإجتماعية ،نقف عند المراحل التالية: البيئة الجاهلية تمثل أصدق تمثيل عالم الشيء ، وهو عالم يكون شديد الفقر ، وتكون الأشياء فيه بدائية وإنحصر في حجم القبيلة ، أما أفكاره فقد إنحصرت في القصائد الشهيرة بالمعلقات ، فجأة أضائت في هذه البيئة الفكرة الإسلامية بخطاب إلهي (إقرأ) [2]

وهكذا بدأت عملية إندماج المجتمع الإسلامي في التاريخ حين تأسس عالم الأشخاص على نموذج أصلي ممثلا بالأنصار والمهاجرين المتآخين في المدينة وهكذا يتواصل الإطراد في المجتمع كما في الفرد حتى نقطة الإرتداد وهنا تتجمد الفكرة وتنقلب المسيرة نحو الوراء ، هنا لا يعود عالم الأشخاص في المجتمع على هيئة النموذج الأصلي الأول بل يصبح عالم المتصوفين ثم المخادعين والزعيم في هذه الحالة ، فعالم الأشياء لا يعود بسيطا مستجيبا لضرورته كما كان في الجاهلية ، بل هو يرث تكاثر في الوسائل والأشياء تستعيد سلطتها على العقول والوعي وغالبا ما تكون تافهة تبهظ الجيوب ، هكذا فالسيرورة منغلقة والمجتمع الإسلامي العائد أدراجه يجد نفسه ومنذ قرون في عصر ما بعد الحضارة [3] .

---

[1] حميدي لخضر : مشكلة التغيير عند مالك بن نبي،رسالة مكملة لنيل شهادة الماجيستير ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة الجزائر،الجزائر،2004_2005،ص60

[2] عمر كامل مسقاوي: في صحبة مالك بن نبي ،ج2، ص 1026،

[3] عمر كامل مسقاوي: المرجع نفسه ، ص 1027

وهذه المرحلة الأخيرة يسميها مالك بن نبي أيضا بمرحلة الغريزة وفيها يتحلل المجتمع أولا من علاقاته الإجتماعية كأن يصبح لا يحمل العنصر المؤلف لها والذي هو فكرة الطاقة الحيوية وتتجسد مرحلة الغريزة في نظر مالك بن نبي : << إذا ما فارق دعاة الحضارة سبيلهم التي يسلكونها لأداء نشاطهم المشترك وإتبعوا سبلا وطرائق متخالفة تجعل النشاط مستحيلا ، فسبل تنسب لحضيرة التصوف وأخرى تنحدر إلى عالم العجائب الذي هبت منه ريح ألف ليلة وليلة وثالثة تختار طريق الرقص والغناء بدعوى أنها تحضر >> [1] .

4)علاقة الأفكار بالمجتمع : إن الماركسية * قد إدعت بأنها قد تبعت خطى المنهج الهيجيلي قد ورثت من هذا المنهج آلية الجدلية الرائعة وبخصوص ذلك المبدأ الذي من حقه أن يفاخر به إذ يقول هناك مستقبل فلسفي للعالم ومستقبل لعالم الفلسفة ، فهذا المبدأ إذن بين الأفكار المنظمة منهجا فلسفيا وبين الأحداث الإجتماعية رابطا محددا ومتبادلا وهذا يعني أن الترابط المستمر ، والتلاحم المؤثر بين المعنيين الأفكار والعالم (الواقع الإجتماعي) هو أمر ضروري في كل لحظة وهذا التزاوج هو نفسه مقياس مستوى حضارة ما [2]. وهنالك دائما علاقة جدلية في الواقع بين الأفكار والأحداث الإجتماعية في مراحل التاريخ ، وأي إنقطاع بين الأفكار والأحداث الإجتماعية هو إنقطاع في تطور وتقدم ذلك المجتمع ومثال مالك بن نبي على ذلك هو أننا حينما نهظنا على صوت زعمائنا الأقدمين كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والشيخ سيد رضا توجهنا إلى طريق الحضارة لكن بغير أن نحدد الهدف ونوضح معالم الطريق فكان سيرنا الحضاري مقارنة بسير حضارة أخرى بطيء .

فمثلا حينما إستمعنا لأول مرة لمنادي النهظة العربية الإسلامية جمال الدين الأفغاني سنة 1858 نهظنا وبدأنا السير ، في حين أن مجتمع اليابان إستقيظ بعد 10 سنوات ، أيقظه الإستعمار كما أيقظنا نحن ،فقد دقت على بابه يد الإستعمار الحمراء وشعر بأن كيانه مهدد،

---

[1] حميدي لخضر : مشكلة التغيير عند مالك بن نبي ،رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير ص 63

* الماركسية : نظرية فلسفية وضعها كارل ماركس وهي تنظير لنظال الطبقة العاملة في الأربعينيا من القرن التاسع عشر والماركسية هي نظرية أنبثقت عنها نظريات سياسية إقتصادية تاريخية إجتماعية ** مراد وهبه: المعجم الفلسفي ، ط5، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،2007 ، ص556

[2] مالك بن نبي: من أجل التغيير ، ط 4، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق،2005،ص12

ففتح الأبواب له ولأفكاره الإستعمارية غير أن الياباني خوفا من أن يسيطر عليه الإستعمار ويمحو شخصيته قام وسار في الطريق نفسها التي حاولنا أن نسير فيها ، والغريب أن هذا المجتمع الذي نهض بعدنا بعشرة سنوات سار للحضارة ووصل لها وأصبح خلال 40 سنة دولة قوية تناهض روسيا ، بينما لم نوازن إنتاجنا الحضاري بالإنتاج الحضاري للمجتمع الياباني وكلنا كما يقول مالك بن نبي نعترف بأنه لا مجال للموازنة ، أي أن القانون الذي طبقه المجتمع الياباني في سيره ليس هو القانون الذي طبقناه في سيرنا [1] .

وفي الأخير يمكن القول أن مالك بن نبي ربط تقدم المجتمع بفعالية الأفكار ربطا تلازميا سواء في تحديد هوية الحضارة أو في مدى تدخلها في أحوال الحضارة ومعيار غنى المجتمع أو فقره بالنسبة له ليس بما يملكه من أشياء ولكن بما يملك من أفكار وكل خلل يحدث للمجتمع لابد من مراجعة علاقة هذا المجتمع بأفكاره ، فالمعيار في حركة المجتمع هو منظومة أفكاره التي توجهه نحو فوضاه أو خموده وركوده وبتغيرها تتغير جميع الخصائص الإجتماعية الأخرى ومراحل مجتمع معين لا تنفك عن أن تكون صورة ظاهرية عن مراحل تطور أفكاره ، كما أن العوالم الثلاثة (الأفكار ، الأشياء ، الأشخاص) تتعايش طوال الحياة ويطغى بعضها على بعض بحسب المجتمعات وفعالية الأفراد التي تتجلى في الدفاع عن الأفكار ولو بالتضحية بالذات وما تملكه من أشياء

المبحث الثالث : الأفكار والسياسة عند مالك بن نبي

إن العمل السياسي من صميم العوامل المؤثرة إيجابا أو سلبا في المجتمع الإنساني وتنظيماته النفسية والإجتماعية ، ربما يحتاج العلماء أحيانا إلى الإستعانة بالعوامل السياسية في تفسير بعض الظواهر النفسية والإجتماعية ، ولابد له من الإستعانة بمحصلات ونتائج دراسات هذه الظواهر ليعرف طبيعة الواقع الذي يوجهه العمل السياسي ويصوب قرارته ، وتصوراته حول هذا المجتمع ومعرفة الأسباب والعوامل المساعدة على إستقراره ورفاهيته ، فمعرفة عوامل الإستقرار النفسي والإجتماعي للأفراد من متطلبات نجاعة

1 مالك بن نبي: تأملات ، ص 165

العلاقات السلطاوية . وإن النظام السياسي الإسلامي الذي تحكمه المرجعية النصية ومبادىء الخبرة الواقعية المتأصلة في تجارب التاريخ الإسلامي هو نظام يؤطر المجتمع ولا يصادره لصالح جبروت الدولة ، كما أنه يجعل من سماته المصلحة التي يمكن أن تتجاوز حتى النص بحرفيته وقد تفوت بعض المصالح الإجتماعية للأفراد ، ومن خلال هذا نتدرج لطرح التساؤل التالي : إلى أي حد إستطاع مالك بن نبي أن يقدم لنا صورة العمل السياسي الذي تترسخ فيه الضوابط الفكرية ؟

1)ماهية السياسة : هي مصدر ساس، وهي تنظيم أمور الدولة وتدبير شؤونها، وقد تكون شرعية أحكامها عندئذ تستمد من الدين، وقد تكون مدنية عندها تكون قسما من الحكمة العملية، وهناك سياسة نظرية وسياسة عملية ، الأولى تعني بدراسة الظواهر السياسية المتعلقة بأحوال الدول والحكومات، في حين أن الثانية تعني بأساليب ممارسة الحكم في الدولة لرعاية مصالح الناس وتدبير شؤونهم وأحوالهم [1]. والسياسة فرع من العلم المدني يبحث في أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة أول من عني به في فلاسفة اليونان أفلاطون في كتابه الجمهورية وأريسطو * في كتابه السياسة وأريسطو هو واضع الأساس للنظريات الحديثة للحكم وبالأخص في تمييزه بين مختلف صور الحكومة ونظم الدولة [2]

2)معايير السياسة عند مالك بن نبي : طبيعة المرحلة التي عاشها بن نبي وطبيعة مشروعه الحضاري الذي شيده ، وظروف الكتابة لديه ، كل هذا لم يخول له تناول السياسة بوصفها علما أو نظريات سياسية سواء من التراث الإسلامي بمفاهيمه المعروفة ، ولا حتى من التراث السياسي الغربي ، بل حتى على مستوى المرجعية النصية للتراث الإسلامي ، ولا من الفكر السياسي لأعلام المسلمين ، وإن كان بن نبي يتصل أحيانا ومباشرة ببعض

1 جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ط 1 ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، ج 1، 1982، ص 689

*أريسطو : (384 ق.م – 322 ق.م) فيلسوف يوناني ترك أثرا عميقا في الفكر اليوناني ومن بعده الفكر المسيحي والفكر العربي الإسلامي والفكر الحديث وكان أشهر تلامذة أفلاطون، ولأرسطو كتب كثيرة يمكن تقسيمها من حيث الموضوع إلى ،ص 89الكثب المنطقية والكتب الطبيعية و الكتب الميتافيزيقية والكتب الأخلاقية والسياسية وأخير الكتب الشعرية **

غسان فنيانس : الموسوعة العربية مختارات فلسفة إجتماع عقائد ، ج 1 ،ص 89

[2] إبراهيم مذكور : المعجم الفلسفي ، ص 99

وقائع التجربة التاريخية للمسلمين إستقاءا لمبادىء معينة أو إستدلالا بها على بعض تصوراته السياسية خصوصا من العهد النبوي وتجربة عهد الخلفاء الراشدين ، لكن الذي طغى على تناوله لموضوع السياسة هو هموم المرحلة الإستعمارية كما أنه أخذ ينظر لمبادىء مجردة من وحي الخبرة الواقعية للعالم الإسلامي بعد الإستعمار

وليس الخبرة التاريخية فحسب ، فهو يتحدث كثيرا عن الأداء السياسي من حيث متطلباته وشروطه ومحتواه الذي يضمن الفعالية والنجاح في تأطير المجتمع وخدمته ونحن نلمح طابعا وظيفيا في تحليله للبنية السياسية الذي يتعامل معها فلا يتحدث عن البنية السياسية من حيث هي أصول عامة ومقاصد موجهة بل من حيث هي وظيفة ومهام مطلوبة [1].

ويرى بن نبي بأن الحرب هي إستمرار للسياسة بوسائل أخرى ، أي أنه يدخل السياسة في نظام تمثل فيه الأفكار التي تسير الحرب بنية فوقية ، في مقابل بنية تحتية مؤلفة من الأفكار التي تشكل هيكلية المذهب السياسي . ويشير بهذا الخصوص إلى قيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإرسال ثلاثة جيوش للحرب في الجزيرة العربية ، وإثنين في معركة على الحدود ، لكن قوة الجيش كانت تتمثل بالثقة في هذه القاعدة السياسية التي كانت تؤمن مؤخرة الجيش ومن بينهم الصحابة الذين بقوا في المدينة [2] ولقد أورد المؤرخ ديورانت. حوارا موجبا للعبرة حول السياسة ،دار بين كونفيشيوس * وبين أحد أتباعه الذي كان يسأل أستاذه كونفشيوس عن السلطة فأجابه الأستاذ قائلا على السياسة أن تؤمن ثلاثة أشياء : لقمة العيش الكافية لكل فرد، والقدر الكافي من التجهيزات العسكرية، وأخيرا القدر الكافي من ثقة الناس بحكامهم .

[1] مولاي الخليفة لمشيشي : مالك بن نبي دراسة إستقرائية مقارنة ، ص 161

[2] عمر كامل مسقاوي : في صحبة مالك بن نبي ، ج 2 ، ص 1035

* كونفيشيوس هو فيلسوف صيني -555. 479 ق.م- كان لتعاليمه وأفكاره الأثر الأكبر في تاريخ الحضارة الصينية في العصر الحديث. جورج الطرابيشي ، معجم الفلاسفة ، ص 551

فسأله التلميذ : وإذا كان لابد من الإستغناء عن أحد هذه الأشياء الثلاثة فبأيها نضحي؟ وأجابه كونفشيوس هنا نضحي بالتجهيزات العسكرية

فسأله التلميذ: وإذا كان لابد أن نستغني عن أحد الشيئين الباقيين فبأيها نضحي ؟ فأجاب كونفشيوس : في هذه الحالة نستغني عن القوت ، لأن الموت كان دائما هو مصير الناس ، ولكنهم إذا فقدوا الثقة لم يبق أي أساس للدولة [1].

3)صفات السياسي عند مالك بن نبي : يرى مالك بن نبي أنه لتحديد السياسة على أبسط صورة بإعتبارها عملا تقوم به الدولة ، فبالإضافة إلى الشروط الدستورية هناك شرطا آخر، فالسياسة لا تستطيع أن تكون العمل الذي تقوم به الأمة كلها إلا بقدر ما تكون مطبوعة في عمل كل فرد منها ، ففي الماضي كانت البطولات تتمثل في جرأة فرد ، لا في ثورة شعب ، وفي قوة رجل ، لا في تكاتف مجتمع ، فلم تكن حوادثها تاريخا ، بل كانت قصصا ممتعة ، ولم تكن صيحاتها صيحات شعب بأكمله ، وإنما كانت مناجاة ضمير لصاحبه ، لا يصل صداه للضمائر الأخرى فيوقظها من نومها العميق [2].

والحاكم ليس فحسب ذلك الرجل النزيه فهذه الصفة مثلا يتمتع بها الكثير من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن ليس كلهم حكام ، فأبو ذر الغفاري وهو من أكثر سأل محمد عليه الصلاة والسلام أن يعينه حاكما على إمارة ، لكن الرسول رفض طلبه رغم ماكان يكنه للصحابي الجليل من تقدير عميق حتى آخر يوم في حياته ، فالنزاهة لا تكفي وحدها بل يجب أن تظاف إليها الكفاءة وأكثر من ذلك الملائمة . فالنزاهة والكفائة صفتان مطلوبتان في رجل السلطة مهما كانت مرتبته ، إنما فوق هذه المرتبة لابد من شيء من الملائمة في نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولأجل العمل على هذه الفضائل ، أنشأ

[1] مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 132

[2] Malek bennabi : Les conditions de la renaissance ،Editions ANEP،200 ،page 26

الفقه الإسلامي نظام الحسبة هذا النظام الذي يشبه من بعيد ما يسمى اليوم بالنقد الذاتي ، والنقد من أجل مراقبة إستمرارها الفعال وفعاليتها في الحياة العامة [1].

ولقد أجمع المؤرخون بأن هناك حادثتين أثرتا تأثيرا بالغا في المستقبل السياسي للعالم الإسلامي الأولى وهي الجدال الذي جرى في سقيفة بني ساعدة بين المهاجرين والأنصار حول موضوع إستخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم . أما الثانية فهي معركة صفين وما أفضت إليه من تحكيم بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان وقد ترتب عن ذلك إنقسام الأمة إلى فرق وأحزاب وشيع . ودون الدخول في السرد التاريخي لمختلف مظاهر الفكر السياسي في العهد الأموي والعباسي وإبان مرحلة الرجل المريض (أي الدولة العثمانية في سنواتها الأخير قبل الإنهيار). [2]

وبسبب الإحتلال الغربي للأقطار العربية والإسلامية بدأت فكرة التحرر من خلال الحركات الوطنية المرتبطة بالنظام الغربي كحياة سياسية عصرية على أساس الدستور والإنتخاب والنظام البرلماني وقد عدت هذه الأقطار تطبيق النظام الغربي الديموقراطي كسبا كبيرا حققته ، ومن ثمة نشأت هذه الأجيال في إطار المفاهيم السياسية الوافدة دون أن تعرف كثيرا عن العلوم السياسية الإسلامية، أو تعمق أوجه الخلاف الواسع بين الدين والدولة في مفهوم الإسلام في حين تنفصل النظرية الغربية عن هذه القيم [3] .

4)**مبادىء السياسة عند بن نبي** : يمكننا أن نضع مجموعة من المبادىء الواجب توفرها في السياسة عند مالك بن نبي كمايلي :

يجب على السياسة أن يكون لها تأثير حقيقي على الواقع المحسوس في الوطن ليس بصفتها الإدارية فحسب ،ولكن بصفتها مشروعا على مستوى الأفكار أيضا [4] .

[1] مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 133
[2] مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 135
[3] حميدي لخضر : مذكرة ماجيستر بعنوان مشكلة التغيير عند مالك بن نبي ، ص 150
[4] مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، ط 2 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق، 2002، ص 82

يجب أن يكون للسياسة تأثير حقيقي عميق في النفسيات الفردية بشكل يجعل الطاقات الإجتماعية طاقات متحركة لا طاقات راكدة تخضع سلبيا للفعل السياسي

يجب على السياسة أن تعتني بإعداد الإنسان الصالح وتربية أجيال قادرة على صناعة التاريخ ، ولا يتم ذلك إلا إذا كانت الدولة على بصيرة من خصوصياتها الحضارية والتاريخية لتجعلها محتويات تربوية في إعدادها لأفرادها في هذا يقول بن نبي :

<< فرسم سياسة معينة معناه إعداد الشروط النفسية والمادية للتاريخ ، أعني إعداد الإنسان لصنع التاريخ >> [1].

من واجبات الدولة أن تقوم بتحسين ظروف المعيشة وعلاج الحياة الإجتماعية وإصلاح المجتمع بشتى طبقاته ويدل مالك بن نبي على ذلك بخطاب الدكتور ناظم القدسي بعد الهزيمة التي تعرضت لها البلاد العربية وفلسطين بالتحديد على يد الكيان الصهيوني حيث يقول فيه : << إن الأسباب العميقة لكارثة فلسطين ليست أسبابا عسكرية وسياسية فحسب فلقد كشفت الهزيمة عن نقائصنا الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والعسكرية، تلك التي تعاني منها بلادنا .... ثم يظيف يجب أن نحرر شعوبنا من خوفها الإقتصادي وأن نؤمن لها حق التعليم وأن نعتني بصحتها ، وهذا هو الطريق الوحيد إلى النهضة الحقة والوسيلة الوحيدة لتأمين وجودنا >> [2].

في الأخير علينا القول إنه لتفكير سديد – حسب مالك بن نبي – ذلك الذي يرى أن تكوين الحضارة كظاهرة إجتماعية إنما يكون في نفس الظروف والشروط التي ولدت فيها الحضارة الأولى ، والتي هي صادرة عن عقيدة قوية ولسان يستمد من سحر القرآن تأثير، ليذكر الناس بحضارة الإسلام في العصور الزاهرة ، بحيث تنطلق الأفكار ثم تتلاقى وتتصارع ، فتنفجر أحيانا وأحيانا أخرى تتحول مباشرة من حالة الجمود إلى حالة التبخر

[1] مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، تر عبد الصابور شاهين ، ط 2 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، 2002 ،ص 134.

[2] Malek bennabi : vocation de l'islam 1 ،er Edition ،Edition anep ، 2006 ،page 130

والشيوع ، في صورة مدرسة ، أو مسجد ... ، وتظهر النظريات السياسية في أفكار الشباب المتطلعين إلى التجديد

من خلال ما قدمناه نستنتج أن الإندماج عند الطفل يأخذ مداه بإطراد في سائر مراحل الحياة : النضج ، الشيخوخة ، ومابعد الشيخوخة ، لتتحول شيئا فشيئا إلى إطراد نحو عدم الإندماج ويترك على التوالي : عالم الأفكار بفقدانه كل قدرة خلاقة ، وعالم الأشخاص نتيجة اللامبالاة أو النفور، وعالم الأشياء نتيجة الضعف وعدم الإقبال. كما يمكن القول أن مالك بن نبي ربط تقدم المجتمع بفعالية الأفكار ربطا تلازميا سواء في تحديد هوية الحضارة أو في مدى تدخلها في أحوال الحضارة وأن كل خلل يحدث للمجتمع لابد من مراجعة علاقة هذا المجتمع بأفكاره ، فالمعيار في حركة المجتمع هو منظومة أفكاره التي توجهه نحو فوضاه أو خموده وركوده وبتغيرها تتغير جميع الخصائص الإجتماعية. وقد وجدنا أيضا أن مالك بن نبي إعتبر أن النظريات السياسية تظهر في أفكار الشباب المتطلعين إلى التجديد، وأنه لابد أن يكون للأفكار دور فعال في السياسة التي بدورها تساهم في تشكل الحضارة.

الفصل الثالث:

الأفكار بين الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي

المبحث الأول : الأفكار والحضارة عند مالك بن نبي

المبحث الثاني : الأفكار والثقافة عند مالك بن نبي

إن تنظيم المجتمع وحياته وحركته، بل فوضاه وخموده وركوده، كل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة في ذلك المجتمع، فإذا تغير هذا النظام بطريقة أو بأخرى فإن جميع الخصائص الإجتماعية الأخرى تتعدل في الإتجاه نفسه. إن الأفكار تكون في مجموعها جزءا هاما من أدوات التطور في مجتمع معين، كما أن مختلف مراحل تطوره هي في الحقيقة أشكال متنوعة لحركة تطوره الفكري، فإذا ما كانت إحدى هذه المراحل تنطبق على ما يسمى بالنهضة، فإن معنى هذا أن المجتمع في هذه المرحلة يتمتع بنظام رائع من الأفكار، وإن هذا النظام يتيح لكل مشكلة من مشاكله الحيوية حلا مناسبا، كما إن في عالم اليوم الذي تسود في أغلب أرجائه الحضارة المادية التي تدور فيها الأفكار حول الأشياء، وبينما العالم الإسلامي يمر بمرحلة مابعد التحضر حيث تنزوي فيه الأفكار وتزحف الأشياء لتحتل مكانها، وتتبدل الأفكار الأصيلة في عالمه الثقافي بأفكار مكتسبة غريبة عليه ، تشوه القيم الأخلاقية في الأشخاص وتقلب الروابط الإجتماعية من أساسها فيتجه المجتمع رويدا رويدا نحو الحضارة المادية لذلك فإعادة التأمل في مدى أهمية الأفكار ودورها الحضاري ومشكلاتها تكون أشد إلحاحا اليوم من أي وقت مضى. لذا كانت مشكلة الأفكارهي الدافع لهذا البحث ومنه نتساؤل: ماهي نظرية مالك بن نبي الفكرية في قيام الحضارة وتشكل الثقافة؟

المبحث الأول : الأفكار والحضارة عند مالك بن نبي

إن الإنسان في بداية وجوده على سطح البسيطة كان نمط حياته فرديا مكتفيا بذاته لكن بمرور الزمن ، وبحكم تعقد ظروف حياته وتطورها ، وبتنوع حاجياته و الأخطار المهددة لها ، ألزمته على تطوير طريقة وطبيعة حياته بالإنتقال من حياة الفردية والأنانية ، إلى الحياة الإجتماعية ، والتي منها تشكل المجتمع ، فالإجتماع البشري ولد الحاجة إلى التنظيم من أجل تنظيم المجتمع بتنظيم سلوك أفراده ، وذلك بوضع وسن قوانين وشرائع ودساتير يتم من خلالها نيل الحقوق والقيام بالواجبات من أجل تحقيق العدل ، وما يترتب عن هذه الأخيرة من حياة الرفاهية والإستقرار ، وإن تقاسم الإنسان مع يره في

الحياة والوجود، بهدف دفع الضرر وتحقيق المنفعة، كل هذه الطموحات ساهمت في تنشئة العلاقات الإجتماعية التي على أساسها قام المجتمع ، فتحقيق هذه الغاية هي السبب في تقدم المجتمع ومدنيته وتحضره . وهذه الأخيرة – التحضر – هي ما تهمنا هنا وعلى ضوء هذا نتسائل : ماهي الحضارة ؟ وفيما تتمثل نظرية مالك بن نبي الحضارية ؟ وما علاقتها بالأفكار ؟

1)**مفهوم الحضارة :** الحضارة في اللغة هي الإقامة في الحضر ، بخلاف البداوة وهي الإقامة في البوادي ، وسميت بالحضارة لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار[1]. وأول من أطلق معنى قريب من الحضارة هو إبن خلدون، ففرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري ، وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة في الوجود ، فالبداوة أصل الحضارة ، والبدو أقدم من الحضر ، وإذا كانت البداوة أصل الحضارة ، فإن الحضارة غاية البداوة ونهاية العمران، وتزداد أهمية المسألة الحضارية من التفسير التاريخي يوما بعد يوم بحيث أنها تغطي مساحات واسعة في أي مذهب للتفسير مهما كانت بنيته أما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش [2].

هيغل * يراها مسألة ديناميكية شاملة تنبثق عن صراع النقيضين في عالم الأفكار في تسلسل طويل ينتهي بمرحلة تجلي المتوحد حين يصل العقل الكلي قمة تعبيره وكامل إنطباقه على حضارة العالم ومؤسساته من خلالها ،أما توينبي * فيراها وليدة مقدرة الجماعة الإنسانية على الإستجابة للتحديات البيئية والجغرافية المحيطة بها وتناسب حجم العطاء

[1] إبن منظور : المعجم اللغوي لسان العرب ، ص 907

[2] جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج 1، ص 484

* هيغل : فيلسوف ألماني ولد سنة 1770 م ومات بداء الكوليرا سنة 1831 م وكان له عدة مقالات أهمها <الإيمان والعلم> ومقالة <حول المنهج العلمي للقانون الطبيعي> ونجد أهم ما كتبه هيغل مايلي: موسوعة العلوم الفلسفية مبادئ فلسفة القانون، الدروس في فلسفة التاريخ ، فينومينولوجيا الروح ، علم المنطق ، علم الجمال ، فلسفة الدين ** جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ص 723

* توينبي : مؤرخ وفيلسوف إنجليزي (1889 – 1975) أكد في مؤلفه الرئيسي دراسة في التاريخ إرادته في بناء فلسفة في التاريخ إنطلاقا من دراسة 21 حضارة قال بدورية الحضارات وبتوالدها من بعضها بعضا ولكنه لم يقل بحتمية إنحطاطها من مؤلفاته : الفكر التاريخي اليوناني ، الحضارة في محنة ، الحرب والحضارة ، العالم والغرب ** جورج الطرابيشي : معجم الفلاسفة ، ص 246

الحضاري كما ونوعا تناسب طرديا مع حجم الإستجابة وإمدائها مقاييس الكم والنوع كذلك ، أما مالك بن نبي فيذهب مذهب آخر حين يقرر أن الحضارة ماهي إلا نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ماقبل التحضر الدفعة التي يدخل بها التاريخ [1].

2)**مالك بن نبي بين الأفكار والحضارة :** إن فكرة الحضارة هي المحور الرئيسي ، والإطار الأساسي الذي تدور حوله وفي نطاقه أفكار مالك بن نبي فالمشكلات كلها تندرج تحت تلك المشكلة ، فمشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية ، وقد وضع بن نبي إنتاجه الفكري تحت عنوان مشكلات الحضارة ، حيث يقول : << كتبي كلها بعناوينها المختلفة أدرجت تحت عنوان عام هو مشكلات الحضارة لأن المجتمع ، لا يعاني عندما تحل به أزمة، إلا مشكلة واحدة هي مشكلة حضارته في طور من أطوارها يتلائم ، أو لا يتلائم مع ضروريات الحياة عندما يتحقق شرط الإنسجام تكون الحضارة مزدهرة ، فيكون المجتمع بمثابة العقل السليم في الجسم السليم ، وإن لم يتحقق هذا الإنسجام ، تحل بالمجتمع في هذا الطور من أطوار حضارته كل المحن التي يعانيها تحت أسماء مختلفة من إستعمار ، إلى جهل ، إلى فقر ...الخ بينما في الحقيقة كلها أعراض لمرض واحد هو فقدان الحضارة ، إذا فكتبي أردت أن أخصصها من ناحية لدراسة أعراض هذا المرض ومن ناحية أخرى إلى تقييد طرق علاجها>> [2].

والحضارة هي النقطة البعيدة حسب مالك بن نبي التي ينبغي أن يؤول لها كل تغيير إجتماعي إيجابي ، وقد ناقشها من زوايا عدة من حيث جوهرها ومبدئها فلقد إنطلق في تحديد مفهومه للحضارة من خلال تأملاته في حركة النهضة في العالم الإسلامي التي تأثرت بالحضارة الغربية إلى محاولة تجاوز الوضعية المأسوية التي يخبرها هذا العالم حيث يرى أنه إذا كان الهدف هو تحصيل حضارة،فإن الجهود التي تبذل لن تصل لنتيجة [3].

[1] عبد المجيد عطار : موقع المسألة الثقافية في البناء الحضاري عند مالك بن نبي، رسالة ماجيستر معهد الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ،1997-1998، ص 66

[2] عبد الله بن حمد العويسي : مالك بن نبي حياته وفكره، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت، 2012، ص 377

[3] الطاهر سعود : التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، ط1، دار الهادي للنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص 12

يحاول بن نبي إعطاء تعريف واسع للحضارة ، يتحدد عنده في ضرورة توفر مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه [1]. ويتبين من خلال هذا أن مفهوم الحضارة عند بن نبي شديد الإرتباط بحركة المجتمع وفاعلية أبنائه ، سواء في صعوده في مدارج الرقي والإزدهار ، أو في إنحطاطه وتخلفه ، فمالك بن نبي يرى أنه أول ما يجب علينا أن نفكر فيه حينما نريد أن نبني حضارة أن نفكر في عناصرها تفكير الكيماوي في عناصر الماء إذا ما أراد تكوينه وهذا بناء وليس تكديس. إن العناصرالضرورية التي تتشكل منها كل. الحضارات حسب بن نبي هي ثلاثة : الإنسان+التراب+الوقت [2] ومن خلال هذه العناصر نلاحظ مايأتي:

أولا الإنسان كما في قوله تعالى : << إني جاعل في الأرض خليفة >> (البقرة 30). ثم نجد ثانيا الأرض كما في الآية السابقة وفي قوله عز وجل :<< ولكم في الأرض مستقر ومتاع>> (البقرة 36) والتعبير عن هذا العنصر بالأرض أولى من التعبير بالتراب. وفي الأخيرالزمن كما في قوله تعالى: << مستقر ومتاع إلى حين >> (البقرة 36) .هذا بالنسبة للعناصر أما المركب لها أو المنهج الذي تتركب تلك العناصر بواسطته ويحدد وظيفتها فنجده في قوله تعالى: << فإما يأتينكم مني هدى فمن إتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون >> (سورة البقرة 38-39) فالعناصر الثلاثة ترجع في حقيقتها إلى كلمة الله ومصيرها إليه [3].

3)**الدورة الحضارية عند بن نبي :** الحضارة في تصور بن نبي مهما كانت طبيعتها ونوعها فهي تخضع لقانون يحكم سيرها وتطورها هذا القانون يتمثل في المراحل التي يقدمها والتي يصطلح عليها بالدورة الحضارية ، فالحضارة تتمثل أمامنا كأنها مجموعة

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، تر عبد الصبور شاهين ، دار الفكرالطباعة والنشر ، دمشق، 1986، ص 19

[2] شبي غانية : مالك بن نبي ورؤيته في الإصلاح الإجتماعي ، مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014، ص31

[3] عبد الله بن حمد العويسي: مالك بن نبي حياته وفكره، ص 394

عددية تتتابع في وحدات متشابهة ولكنها غير متماثلة ، وهكذا تتجلى في فهمنا حقيقة جوهرية في التاريخ هي دورة الحضارة وكل دورة محددة بشروط زمنية ونفسية خاصة بمجتمع معين فهي حضارة بهذه الشروط . فالشعوب التي تقوم بدورها كاملا في التاريخ في إطار تلك السلسلة تتقدم وتفرض وجودها وسيادتها ، أما الشعوب التي لا تؤدي أو تتخلف عن القيام برسالتها ودورها في إطار تلك السلسلة فما عليها إلا أن تذعن وتذل وتضعف فالتاريخ ليس ما تصنعه الصدف ولا مكائد الإستعمار ولكن ما تصنعه الشعوب ذاتها في أوطانها ، ويكون ذلك بتفاعل وإنسجام الإنسان مع عالم الأفكار وعالم الأشياء. والحضارة هي مجموع منسجم من الأشياء والأفكار بصلاتها ومنافعها وألقابها الخاصة وأماكنها المحددة ، ومجموع كهذا لا يمكن أن يتصور على أنه مجرد تكديس ، بل كبناء وهندسة ، أي تحقيق فكرة مثل أعلى [1]

وتعتبر الحضارة الناتج الحاصل ضرورةعن حركة المجتمع وهي حركة شاملة في مجال الفكر والإقتصاد ، وفي رحاب التوازن الروحي والمادي ، ومن دون هذه المسألة لن يكون المجتمع مجتمعا ، فهذا التحديد يجعل الحضارة تتمثل في جانبين: الجانب الأول هو الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة إرادة تحرك المجتمع نحو تحديد مهماته الإجتماعية والإضطلاع بهذه المهمات الأساسية الإجتماعية أما الجانب الثاني فهو الجانب الذي يتضمن شروطها المادية، في صورة إمكان ، أي أنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهماته، أي بالوظيفة الحضارية [2] .

من الملاحظات الإجتماعية التي سجلها بن نبي أن للتاريخ دورة وتسلسلا تبدأ حلقته الأولى بظهور فكرة دينية ، وينتهي عندما تفقد هذه الأخيرة فعاليتها التي أكسبتها للفرد الذي تفاعل معها عند دخولها حلبة التاريخ،وضمن هذا الإطار فإن عملية التغيير الإجتماعي في أي مجتمع تتبع المسار ثلاثي المراحل التالي: أولا مرحلة الروح وهي بداية الصعود.وثانيا

[1] جمال بروال : الدورة الحضارية بين بن نبي و اشبلنجر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الحاج لخضر،باتنة، 2012-2013ص 134

[2] رقية بوسنان: تكامل الرؤية المعرفية في تصور بناء الحضارة عند مالك بن نبي،ندوة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة،ص04

مرحلة العقل وهي مرحلة التوسع والإنتشار. وثالثا نجد مرحلة الغريزة وهي مرحلة الأفول الحضاري [1].

إن بداية المرحلة الأولى من الدورة الحضارية حسب مالك بن نبي تكون بدايتها دينية تشكل خطا تصاعديا من القاعدة إلى القمة مطبوعة بطابع ديني بحت تسوده الروح ، وقد تمثلت هذه المرحلة في الدورة الحضارية الإسلامية في مرحلتها الأولى منذ نزول كلمة (إقرأ) في غار حراء على محمد صلى الله عليه وسلم لتمتد إلى غاية معركة صفين سنة 38 هجري [2] .

أما الطور الثاني من الدورة الحضارية عند بن نبي يمثل مرحلة التوسع العقلي وفيه تبلغ شبكة العلاقت الإجتماعية لأي مجتمع أوسع إمتدادها كما تبدأ النقائص والشوائب تطفو على السطح ورغم ذلك يواصل المجتمع نموه وحركته، لكن لا تكون قواه كلها في نطاق الحركة. و في هذه المرحلة – مرحلة العقل – تصبح الروح غير مسيطرة على الغرائز التي تتحرر من قيودها وتبدأ الروح في فقدان نفوذها على الغرائز تدريجيا ، فيلاحظ إنخفاظا في مستوى أخلاق المجتمع ونقصا في الفاعلية الإجتماعية للفكرة الدينية [3].

أما المرحلة الأخيرة فتمثل طور الأفول النازل عكس طور النهضة الصاعد ويفصل بينهما طور إنتشار الحضارة وتوسعها . ويمثل هذا الطور مرحلة الإنحطاط وسيطرة الغريزة وإختفاء العقل وتبدد أثاره ، فتفسخ شبكة العلاقات الإجتماعية وتسود الفردية وتتفكك الغرائز، ولا تعمل بشكل منسجم ويختل نظام الطاقة الحيوية ويفقد قيمته الإجتماعية إنها مرحلة الإنحطاط التي هيأت في المجتمع الإسلامي القابلية للإستعمار حسب مالك بن نبي وهذه المرحلة هي الخاتمة لكل حضارة لخلوها من الروح والعقل ، وهي المرحلة التي تكشف فيه الغريزة عن وجهها تماما بعد إنتهاء الوظيفة الإجتماعية للفكرة الدينية ، ويسود

[1] الطاهر سعود:التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، ص 122
[2] مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ،تر عبد الصابور شاهين، ص71
[3] Malek bennabi : les conditions de la renaissance ،page 75

المجتمع الإنحلال ويبدأ في الدخول في ليل التاريخ وهنا تنتهي دور الحضارة . ولكل مرحلة من هذه المراحل منطلقاتها ومميزاتها نذكر منها :

أولا : مرحلة الروح : وهي المرحلة التي تشهد ظهور قيم روحية جديدة في المجتمع والتي يعزى إليها الفضل في نقلته من حالته الطبيعية البدائية إلى حالته الفعالة المتحركة التي تدفع به إلى إلى الدخول في حلبة التاريخ ومن مميزاتها : أن الفكرة الدينية كمنطلق وإشعاع لها . و أن إنسان الفطرة كنقطة البدء لها (النقطة الصفرية). التأكيد على الدين ودوره في بناء شبكة العلاقات الإجتماعية. وأخيرا الفعالية من خلال الإنسان الذي هو العنصر الفعال والإيجابي في الحياة كما أنه هوأهم عنصر في بناء وتشكل أي حضارة [1] .

ثانيا: مرحلة العقل : والتي تنعطف فيها الحضارة بسبب المشاكل المادية الناتجة من توسع المجتمع الوليد بحيث تتولد ضرورات جديدة نتيجة هذا الإكتمال منعطفا كما سبق وقلنا تكف فيه الروح عن السيطرة المطلقة على الغرائز ومن أهم مميزاتها نجد: تحرر الغرائز وضعف سلطة الروح . نقص الفاعلية الإجتماعية للفكرة الدينية .وأيضا التوسع وإنتشار الإبداعات [2].

ثالثا : مرحلة الغريزة : إذا كانت بوادر الإنفصال بدأت تظهر في المجتمع أثناء مرحلة العقل بإنفصال بين المبدأ والواقع فإن هذا التصاعد والإنفصال يستمر إلى غاية مرحلة الغريزة فتنتهي إلى وعدها المحتوم ، وتمزق عالم واهن فتكون مرحلة الإنحطاط ومن مميزاتها نجد: فقدان الوظيفة الإجتماعية للفكرة الدينية . وضعف سلطة الروح والعقل والتحرر النهائي للغرائزفي الأخير. نجد أيضا من مميزات هذه المرحلة تفكك شبكة العلاقات الإجتماعية [3] .

[1] جمال بروال : الدورة الحضارية بين بن نبي واشبلنجر ، ص 134
[2] جمال بروال : الدورة الحضارية بين بن نبي واشبلنجر ، ص 141
[3] جمال بروال : الدورة الحضارية بين بن نبي واشبلنجر ، ص 144

4)**الحضارة من خلال المجتمع الإسلامي** : إن الفكرة المسيحية قد أخرجت أوروبا إلى مسرح التاريخ، ولقد بنت عالمها الفكري إنطلاقا من ذلك ومع عصر النهضة إستعادت إكتشافها العالم الإغريقي فتعرفت على سقراط باعث الأفكار، وأفلاطون مؤرخها، وأرسطو مشرعها، وإن دور الأفكار في حضارة ما لا يقتصر على مجرد الزينة ، فهو لا يصبح كذلك إلا حينما يصبح المجتمع في عصر مابعد التحضر، ففي فترة إندماج مجتمع ما في التاريخ يكون للأفكار دور وظيفي لأن الحضارة هي القدرة على القيام بوظيفة أو مهمة معينة [1]. ويدعو بن نبي في جل كتاباته إلى ضرورة إبداع بدائل فكرية ومناهج مستقلة تتناسب مع البيئة الإسلامية بدل إستيرادها كما هي من الغرب الأوروبي، ويلح على ضرورة الإستقلال الفكري في دراسة مشكلاتنا الحضارية والإجتماعية ، أي أنه يدعو للإبداع والتميز والإبتعاد عن التقليد والتبعية .

من أهم الخصوصيات التي ميزت نشوء الحضارة الإسلامية أن نشؤوها سببه الوحي الرباني مما جعلها حضارة خالدة خلود المبادىء والتعاليم التي تحملها وتدعو إليها ، ولهذا فالحضارة لا يمكن إستيرادها من بلد آخر رغم إستيراد كل منتوجاتها ومصنوعاتها ، فبعض القيم لا تباع ولا تشترى ولا تكون إلا في حوزة من يتمتع بها كثمرة جهد والحضارة من بين هذه القيم التي لا تباع ولا تشترى [2] . ويميز بن نبي بين الحضارة الشيئية والحضارة الحديثة ، فالأولى تشتري الأشياء العديدة وتكدسها ولا تستفيد منها وهذا حال العالم الإسلامي، والثانية تخطط وتنتج وفق منهج فني تطبق فيه قوانين الكيمياء الحيوية والديناميكية الخاصة أثناء التكوين والتطوير حال الصين ، روسيا ، واليابان.

كما يؤكد بن نبي أن الحضارة لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية لذلك يرى أنه ينبغي أن نبحث في كل حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها [3] . كما أنه يؤكد أن التغييرات التي نشاهد نتائجها بعد مدة طويلة في عالم الإقتصاد ، هي في جوهرها تغييرات

[1] مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،ص 42
[2] شبي غانية: مالك بن نبي ورؤيته في الإصلاح الإجتماعي ، ص 32
[3] رقية بوسنان : تكامل الرؤية المعرفية في تصور عناصر بناء الحضارة عند مالك بن نبي، ص 05

حضارية تعتري القيم والأذواق والأخلاق في منعطفات التاريخ فتتغير معالم الحياة بتحول الإنسان نفسه في إرادته وإتجاهه عندما يدرك معنى جديد لوجوده في الكون ، وهذا التحول لا يؤثر في عالم الأشياء ولا في المعقولات التي يتضمنها عالم الأفكار بوصفه أنماطا تطبيقية ، أي لا يؤثر في عالم الإقتصاد بنوعيه الشيء المصنوع والفكرة الدالة على طريقة صنعه مالم يؤثر في محتوى النفوس ذاتها طبقا لقوله تعالى : << إن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم>> (الرعد 13). ولو تدبر أهل الإختصاص في الإقتصاد من المسلمين هذه الآية أدركوا أنها تضع هذه القضية وغيرها مما يخص أوضاع المجتمعات أولا في مستوى تغير مسوغات الوجود في المجال النفسي، وفي كلمة واحدة وبصورة أوضح في المستوى الحضاري ولو تدبروا أيضا بعض التصورات المتعمقة في البحث عن جذور الإقتصاد لوصلوا إلى النتيجة النظرية نفسها، أي أن الإقتصاد ليس قضية إنشاء بنك ومصانع فحسب،بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان،وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات [1].

5 إن نقطة تحول أي مجتمع من وضع متخلف إلى آخر متقدم يستدعي دخول ذلك المجتمع في دورة حضارية تستكمل شروطها المادية والمعنوية المتمثلة في عنصرين أساسيين هما الإرادة الحضارية والإمكان الحضاري ، وفي هذا الصدد لابد من إستخدام المنهجية العلمية التي يستخدمها الكيميائيون لتحديد العناصر المركبة للماء ، وذلك بأن نحلل منتوجات الحضارة لنستخلص منها العناصر الأساسية التي أوجدتها ، وقد توصل بن نبي في تحليله النظري لتلك المنتوجات إلى أن كل حضارة إنما تتكون من العناصر الثلاثة التالية :إنسان + وقت + تراب = حضارة. وإن مسيرة الحضارة تسير بهذا المجتمع تبعا لدرجة تمحوره حول الأفكار، فالأفكار هي أساس الحضارة في أي مجتمع. وقد توصل بن نبي لمعادلة الحضارة من خلال الإعتناء بحديقته الخاصة ، كما وضع مقارنة بين الفلاح المتحضر والفلاح الجزائري فالأول يصقل بيئته الزراعية وينظمها ويرتبها بكل رعاية

[1] مالك بن نبي : المسلم في عالم لإقتصاد،ط4،دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، 2000، ص59

وحب للجمال أما الفلاح الجزائري لا يكلف نفسه تعب تنظيف حقله وتشذيبه ويقضي جل وقته في المقاهي بلا فائدة، ومن هنا حدد بن نبي الشروط التي لا غناء عنها لبناء حضارة.

المبحث الثاني : الأفكار والثقافة عند مالك بن نبي

إن عالم الثقافة ليس عالما ساكنا ، إن له حياته ، وله تاريخه الذي نستطيع أن نفسره إنطلاقا من فكر هيغل،الذي يقرر بأن هنالك صيرورة لعالم الفلسفة وصيرورة فلسفية للعالم، أوإنطلاقا من المبدأ الماركسي الذي يؤكد على أن كل تعديل في البنية التحتية يرتب تعديلات في البنية الفوقية. وقد شكل عالم الثقافة مشكلة وجب دراستها وتفسيرها حسب مالك بن نبي التي إعتبرها مشكلة لا تواجهنا البتة في دائرة المجردات، أي في المسرح، أو السينما أو مكتب عمل أحد الروائيين ولكنها تطرح أمامنا في العالم العيني الملموس لعملنا اليومي ، في إحدى حضائر البناء ، أو في حقل نزرعه أو بالمدرسة أين نرسل الأطفال لتلقي المعرفة ، وأخيرا في كل مكان يوجد فيه شكل من أشكال حياتنا ونشاطاتنا اليدوية والذهنية فموضوعنا يتعلق بالإطار الإجتماعي كله ومنه نتسائل ماهي الثقافة وما علاقتها بالأفكار عند بن نبي ؟

1)ماهية الثقافة

أ)**الثقافة لغة :** ثقف الرجل ثقافة صار حاذقا ، وثقفت الشيء حذقته ، والرجل المثقف هو الحاذق الفهم ، والثقافة بالمعنى الخاص هي تنمية بعض الملكات العقلية أو تسوية بعض الوظائف البدنية ، ومنها تثقيف العقل والبدن ، والثقافة بالمعنى العام هي ما يتصف به الرجل الحاذق المتعلم من ذوق وحس إنتقادي ، وحكم صحيح [1].أو هي التربية التي أدت إلى إكسابه هذه الصفات ولفظ الثقافة يطلق على المزايا العقلية التي أكسبنا إياها العلم حتى جعل أحكامنا صادقة ودائما ما كان للثقافة علاقة تكاملية بالحضارة، والثقافة بمعناها الواسع إنارة الذهن وتنمية الذوق والحس النقدي والحكم لدى الفرد والمجتمع [2].

[1] إبن منظور : المعجم اللغوي لسان العرب ، ص 392
[2] جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج 1 ، ص 378

ب)الثقافة عند بن نبي : إهتم مالك بن نبي ببحث الثقافة فحدد مرجعيتها وأصولها وأطرها التاريخية ، وإستنبط تعاريفها المختلفة من القواميس العربية كتعاريف لسان العرب ، كما بحث في مقدمة إبن خلدون ، وفي لغة الأدب وكتابات العصر الأموي و العباسي فلم يعثر على مفهوم ثقافة في اللغة العربية على الرغم أن الفعل ثقف أصل لغوي يتصل تاريخه بلغة ما قبل الإسلام وقد ورد في بعض آيات القرآن الكريم كقوله تعالى : << فخذوهم وأقتلوهم حيث ثقفتموهم >> النساء ، الآية 91 . وفي كتب التفسير نجد أن الفعل ثقف في هذه الآية يتخذ معنى وجد و أصاب . ويرى بن نبي أن كلمة ثقف لم تعالج كمفهوم وكظاهرة إجتماعية في التراث العربي الإسلامي [1]. ويرى أيضا مصطلح الثقافة نشأ مع تطور أوروبا إنطلاقا من الزراعة والأرض التي هي الرحم الذي تخلقت فيه حدود المادية والثقافة الأرضية ، لذا لم تجد فكرة الثقافة مداها ومعناها في مكوناتها في إطار الحضارة الإسلامية والمشرقية إلا في زمن متأخر [2] .

يتحدث بن نبي عن حادثة قام فيها صحفيا بطرح سؤال على إدوارد هوريو والذي كان عميدا لكلية الآداب في ليون ورئيسا للبرلمان في فرنسا وعمدة مدينة ليون فكان فحوى السؤال ماهي الثقافة ؟ فأجابه هوريو : << بأن الثقافة هي ما يبقى عالقا بالأذهان عندما ننسى ما تعلمناه على مقاعد الدراسة والجامعات >> [3] . ويعرف بن نبي الثقافة بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الإجتماعية يتلقاها الفرد منذ ولادته فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقها الإنساني المتحضر وهذا التعريف يبين بوضوح أن الإنسان كائن إجتماعي مدني بطبعه يكتسب من مجتمعه نسقا من القيم والمعايير الخلقية والإجتماعية والثقافية ، ويعتمد بن نبي على الحديث النبوي الشريف في هذا التعريف فيقول : << إن الطبيعة تأتي بالفرد في حالة بدائية ثم يتولى المجتمع تشكيله ليكيفه

[1] شبي غانية : مالك بن نبي ورؤيته في الإصلاح الإجتماعي ، مذكرة مكملة لشهادة ليسانس في الأدب العربي ، ص 37
[2] عمر كامل مسقاوي : في صحبة مالك بن نبي ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 2013، ج 1، ص 671
[3] مالك بن نبي : مجالس دمشق ، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، 2006، ص92

طبقا لأهدافه الخاصة وهو المعني الذي يقصد به الرسول صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهاودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه >> [1].

إن السبيل الصحيح عند بن نبي لإدراك الثقافة وفهمها بإعتبارها واقعا إجتماعيا والتخطيط لها بناء على ذلك الفهم وهو يتناول تعريف الثقافة من ناحيتين : الناحية الأولى في ضوء تفسيرها بإعتبارها واقعا تاريخيا. أما الناحية الثانية في ضوء وظيفتها في البناء بإعتبارها منهجا تربويا. والثقافة بيئة مكونة من الألوان والأصوات والحركات والأشياء والمناظر والصور والأفكار المتفشية في كل إتجاه ، فهي بيئة تمارس مفهومها على الراعي والعالم على حد سواء ، وهي الوسط الذي يتشكل داخله الكيان النفسي للفرد بالصورة نفسها التي يتشكل بها كيانه العضوي ، داخل مجال الجو الحيوي الذي ينتظمه ، فنحن لا نتلقى الثقافة وإنما نتنفسها ونتمثلها بالطريقة نفسها التي يتم بها تنفسنا وتمثلنا لأكسجين الهواء في الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين ، وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر[2].

ويؤكد مالك بن نبي أنه لإعداد ثقافة لابد أن نركز إنتباهنا على مجموع الإطار الثقافي، على المنوال نفسه الذي يتم فيه إنجاز ذلك خلال بعض التجارب الراهنة، خاصة بالجمهورية الصينية، حيث شرع في تغيير البيئة على مستوى قد يثير دهشة الملاحظ الغربي أحيانا، لاسيما إذا كان قد أنس الوجه التقليدي للصين القديمة [3].

2)التوجيه بين الأفكار والثقافة عند بن نبي : أ ـ توجيه الأفكار : مشكلة الثقافة من الوجهة التربوية في جوهرها هي مشكلة توجيه الأفكار ولذلك كان علينا أن نحدد المعنى العام لفكرة التوجيه فهو بصفة عامة قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف فكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها حين زاحمتها قوى أخرى صادرة عن المصدر نفسه ومتجهة إلى الهدف نفسه فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد والوقت ،

[1] الكبار عبد العزيز : قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، ص 109
[2] عبد الله بن حمد العويسي : مالك بن نبي حياته وفكره ، ص 333
[3] مالك بن نبي : القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق، 1991، ص 81

فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تستخدم في كل وقت . والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون من الملايين من السواعد والعقول في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية [1]. فمثلا :

ـ على الصعيد السياسي : بالإمكان أن نحصي في بلد إسلامي واحد ، عددا لابأس به من الكوارث التي كان من الممكن تجنب وقوعها لو لم تستلب أفكار دافعة بفعل تجسيدها ، وإذا نظرنا إلى الأمور من زاوية الصراع الفكري فإننا نشعر من هذا الجانب أن الإستعمار يستطيع إستغلال هذا الإتجاه المرضي لتجسيد أفكارنا خصوصا في الإطار السياسي [2].

وقد فصل مالك بن نبي في أربعة عناصر مهمة من شأنها أن تبعث في الثقافة القدرة على تحقيق غايات النهضة والتحضر وهي : أولا الدستور الخلقي فالأخلاق والقيم السلوكية تمثل مكانا مركزيا في مشروع بن نبي الثقافي. أما ثانيا الذوق الجمالي فمثلما تحتاج الثقافة الفعالة إلى نزعة أخلاقية تغذيها وتوجهها ،فهي تحتاج أيضا إلى ذوق جمالي وحس فني وقدرة على الإبداع والإبتكار. وثالثا نجد المنطق العملي والذي يعني به مالك بن نبي كيفية إرتباط العمل بوسائله ومعانيه بطريقة يتمكن الإنسان بها من إستخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة . وأخيرا الصناعة ويقصد به كل الفنون والقدرات والمهن وتطبيقات العلوم [3] .

إن صناعة السياسة تعني إلى حد كبير تغيير الإطار الثقافي في إتجاه ينمي تنمية متناغمة ومن هنا فصناعة السياسة تعني في آخر المطاف صناعة الثقافة ، فإذا شيدنا حديقة في مدينة كالجزائر ، أي إذا غيرنا الإطار الثقافي في أي بلد من بلدان العالم الثالث نقوم بعمل سياسي لا مزيد عليه وهذه الملاحظات تبين لنا كيف تطرح المشكلة في بلد من العالم الثالث حيث تكشف لنا تجربتنا التأثير المشترك لعوامل في أصناف ثلاثة : الصنف الأول

[1] مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، تر عبد الصابور شاهين ، ص 67
[2] مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ص 82
[3] فوزية بريون: مالك بن نبي عصره حياته ونظريته في الحضارة، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق،2010 ، ص 222

ويتصل بالثقافة التي نريد صنعها. أما الصنف الثاني فوهو يتصل بلاثقافة موروثة نريد تصفيتها.

والصنف الثالث والأخير وهو يتصل بشيء نسميه ماضد الثقافة وهو يفرض علينا أن نكون في إنتباه مستمر إتجاهه وعلاقة السياسة بالثقافة تمر حتما بهذا الثلاثي [1]. ومهما يكن من شيء فإن توجيه الأفكار في الثقافة يقوم على إقرار التوازن الضروري في هذا المجال حتى لا يبقى هناك فراغ فمفتاح المشكلة يكمن في وضع برنامج لتوجيه الثقافة ، توجيه يسمو إلى الغاية التي ننشدها حسب بن نبي.

ب ـ توجيه الثقافة : ينطلق بن نبي في هذا الصدد من قاعدة أن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة ، وكل تفكير في مشكلة الحضارة هو في الأساس تفكير في مشكلة الثقافة ، بإعتبار الحضارة في جوهرها مجموعة من القيم الثقافية المحققة وأنه إذا ما أريد للنهضة أن تبرز إلى عالم الوجود فإن علينا أن نواجه مشكلة الثقافة في أصولها ولقد عالج بن نبي الثقافة وإنطلق في تحليلها من إطار المشكلة لا بدافع التشاؤم والسلبية ، وإنما بدافع التغيير والنهضة إدراكا منه أنها المدخل الأساسي لعملية البناء الحضاري [2] .

يجب أن نحدد الثقافة في ضوء تصورنا لوضعها التاريخي أي بوصفها حركة مستمرة، فإن في التاريخ منعطفات هائلة خطيرة يتحتم فيها هذا التعرف ، والنهضة في العالم الإسلامي إحدى تلك المنعطفات [3]. ولتحديد مفهوم توجيه الإنسان من خلال توجيه ثقافته يؤكد بن نبي على: ضرورة الهدم (التحديد السلبي) أي هدم الإرث الثقافي السالب وتحطيم الوضع الموروث عن عصور التخلف وتصفية عادات المجتمع وتقاليده وإطاره الخلقي مما فيه من عوامل فتاكة لأن تصفية الأفكار الميتة وتنقية الأفكار المميتة يعدان

[1] مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، ص 89
[2] الطاهر سعود : التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي ، ص 210
[3] مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، تر عبد الصابور شاهين ، ص 70

الأساس الأول لأية نهضة حقة. كما يؤكد على ضرورة البناء (التحديد الإيجابي) ويقصد به تحديد محتوى الثقافة وعناصرها الجوهرية التي تصل المجتمع المتطلع إلى التقدم بمقتضيات المستقبل [1] .

ومن هنا نقول أن الثقافة عند مالك بن نبي هي إطار متآلف من الأخلاق والجمال والمنطق العملي والفن الصناعي ، وهذا التآلف لابد من توجيهه عن طريق الأفكار ، فينتج عنه المشهد المتناغم في أداء المجتمع في إطار من إيديولوجية السير نحو إتجاه الرسالة وقيم محددة وإذا تحقق هذا التركيب المتآلف في أحد بلدان العالم الثالث يكون قد حدد أسلوب هذا البلد في الحياة العامة والسلوك الفعال لكل فرد من مواطنيها ويكون قد خلق في النهاية مجموع الشروط التي تهيئ لمواجهة مشاكل التخلف ولكي يتم إعجاز ذلك يتعين أولا أن تكون البلاد المتخلفة على قناعة أن تثقيف الإنسان هو الأكثر أهمية.

وفي الأخير نصل إلى إستنتاج مما ذكرناه مفاده أن للأفكار دور كبيرفي تشكل الحضارة والثقافة، وأن نقطة تحول أي مجتمع من وضع متخلف إلى آخر متقدم يستدعي دخول ذلك المجتمع في دورة حضارية تستكمل شروطها المادية والمعنوية المتمثلة في عنصرين أساسيين هما الإرادة الحضارية والإمكان الحضاري . وأن مسيرة الحضارة تسير بهذا المجتمع قوة وضعفا ، دفعا وهونا ، صعودا وهبوطا ، تبعا لدرجة تمحوره حول الأفكار. فالأفكار هي أساس الحضارة في أي مجتمع. كما أن الثقافة عند مالك بن نبي هي إطار متآلف من الأخلاق والجمال والمنطق العملي والفن الصناعي ، وهذا التآلف لابد من توجيهه عن طريق الأفكار. كما يؤكد على ضرورة هدم الإرث الثقافي السالب وتحطيم الوضع الموروث عن عصور التخلف وفي المقابل ضرورة البناء (التحديد الإيجابي) ويقصد به تحديد محتوى الثقافة وعناصرها الجوهرية التي تصل المجتمع المتطلع إلى التقدم بمقتضيات المستقبل.

[1] الطاهر سعود : التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي ، ص 211

الخاتـــــمة

إن الكتابة عن مالك بن نبي وأمثاله من الذين تصدوا لمشكلة المسلمين ضرورية من أجل أن نتعرف على أصحاب الخبرة والتجربة في مجال الصراع الفكري فلم يعد مناسبا طرح الحلول العامة والعائمة ، ولابد من الدخول في التفاصيل ، ومعرفة أسباب التخلف وأسباب النهضة ، وإن مالك بن نبي مفكر عميق الغور ، غواص في البحث والتنقيب ، والحديث عنه متشعب ذو أبعاد ، وذلك لغزارة إنتاجه وتعمقه في مشكلات العالم الإسلامي ، وفي تخليل شخصية المسلم في عصور التخلف الحضاري ، والمفكر هو الذي يدرس ويقارن ويتأمل ويحلل المشكلة إلى أجزائها ، ثم ينسق ويركب ويجتهد في إيجاد الحلول ، والفكر لا يستطيع أن يكون فكر بالمعنى الصحيح إلا إذا رسم طريق الإصلاح .

وتبرز مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي وتعظم بقدر إرتباطها بغاية الحياة ، وهذا ما آثر فينا الفضول لتناولها من خلال أحد أعلام الفكر الإسلامي المعاصر بإعتباره يشكل مدرسة من مدارس الفكر الإسلامي التي إنتهجت نهجا مميزا في دراسة مشكلات العالم الإسلامي وتحليلها تحليلا عميقا بغرض الكشف عن أصل الداء ، وإيضاح طريق الدواء . كل تلك الجوانب تؤكد أهمية البحث والدراسة في هذا الموضوع ، لذا كان القصد من تقديم بحثنا هذا عرض أهم أسس عالم الأفكار عند بن نبي ، وقد تحصلنا على عدة نتائج سوف نحاول إبرازها في خاتمتنا هذه :

ومن خلال ما قدمناه نستنتج من أنه لا مفر من إحترام علاقة الأفكار بمقاييس نشاطنا حتى لا تتصادم الأفكار والعقل أو تصبح مستحيلة، وإن كان فسادا يطرأ على روابط الأفكار لابد وأن يتولد عنه خلل في الحياة الإجتماعية وإنحراف في سلوك الأفراد. وعندما يسود عدم التماسك في عالم الأفكار نضع علامات ذلك في أبسط الأنشطة، وعندما يمس العلاقات المنطقية ينبغي أن نتوقع شتى أنواع اللبس في العقول.

كما يمكننا القول أن الأفكار الموضوعة والأفكار المطبوعة حينما تفقد جذورها في الغلاف الثقافي الأساسي تصمت هي بدورها لأنه لم يعد لديها ما تعبر عنه فيتفتت المجتمع

الذي يصل لهذه الدرجة وهو ما حل بالمجتمع الإسلامي الأمر الذي أدى إلى أن يتقسم المسلم لشطرين ، المسلم وهو يمارس عبادته داخل المسجد والمسلم غارق في عالم آخر مختلف كل الإختلاف.

كما نستنتج أيضا أن المجتمع الإسلامي الحاضر يدفع ثمن خيانة نماذجه، وأن كل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله، لكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الإجتماعي أفكارا ميتة تمثل خطر أشد عليه من خطر الأفكار القاتلة، فالأفكار الميتة تظل منسجمة مع عاداته وتنخر كيان المجتمع من الداخل وهي تستطيع ذلك لأنها تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه

كما أنه من خلال ما قمنا به من بحث وتحليل علاقة الأفكار بالإنسان عند مالك بن نبي من خلال ثلاثة نماذج عن الإنسان هي الطفل والمجتمع والسياسة ، وربطنا هذه النماذج بالأفكار وما إستنتجناه هو أنه يمكننا القول أن الإندماج عند الطفل يأخذ مداه بإطراد في سائر مراحل الحياة : النضج ، الشيخوخة ، ومابعد الشيخوخة ، لتتحول شيئا فشيئا إلى إطراد نحو عدم الإندماج ويترك على التوالي : عالم الأفكار بفقدانه كل قدرة خلاقة ، وعالم الأشخاص نتيجة اللامبالاة أو النفور، وعالم الأشياء نتيجة الضعف وعدم الإقبال.

كما يمكن القول أن مالك بن نبي ربط تقدم المجتمع بفعالية الأفكار ربطا تلازميا سواء في تحديد هوية الحضارة أو في مدى تدخلها في أحوال الحضارة ومعيار غنى المجتمع أو فقره بالنسبة له ليس بما يملكه من أشياء ولكن بما يملك من أفكار وكل خلل يحدث للمجتمع لابد من مراجعة علاقة هذا المجتمع بأفكاره ، فالمعيار في حركة المجتمع هو منظومة أفكاره التي توجهه نحو فوضاه أو خموده وركوده وبتغيرها تتغير جميع الخصائص الإجتماعية .

وقد وجدنا أيضا أن مالك بن نبي ربط السياسة بتشكل الحضارة ولجعل السياسة عنصر فعال وراقي في تشكيل الحضارة لابد أن تنطلق الأفكار ثم تتلاقى وتتصارع ، فتنفجر أحيانا وأحيانا أخرى تتحول مباشرة من حالة الجمود إلى حالة التبخر والشيوع ،

وتظهر النظريات السياسية في أفكار الشباب المتطلعين إلى التجديد ، أي أنه لابد أن يكون للأفكار دور فعال في السياسة التي بدورها تساهم في تشكل الحضارة

وقد إستنتجنا في هذا البحث من خلال حديثنا عن دورالأفكارفي تشكل الحضارة والثقافة أن نقطة تحول أي مجتمع من وضع متخلف إلى آخر متقدم يستدعي دخول ذلك المجتمع في دورة حضارية تستكمل شروطها المادية والمعنوية المتمثلة في عنصرين أساسيين هما الإرادة الحضارية والإمكان الحضاري . وأن مسيرة الحضارة تسير بهذا المجتمع قوة وضعفا ، دفعا وهونا ، صعودا وهبوطا ، تبعا لدرجة تمحوره حول الأفكار. فالأفكار هي أساس الحضارة في أي مجتمع

كما وجدنا أيضا أن الثقافة عند مالك بن نبي هي إطار متآلف من الأخلاق والجمال والمنطق العملي والفن الصناعي ، وهذا التآلف لابد من توجيهه عن طريق الأفكار ، فينتج عنه المشهد المتناغم في أداء المجتمع في إطار من إيديولوجية السير نحو إتجاه الرسالة وقيم محددة وإذا تحقق هذا التركيب المتآلف في أحد بلدان العالم الثالث يكون قد حدد أسلوب هذا البلد في الحياة العامة والسلوك الفعال لكل فرد من مواطنيها ويكون قد خلق في النهاية مجموع الشروط التي تهيئ لمواجهة مشاكل التخلف ولكي يتم إعجاز ذلك يتعين أولا أن تكون البلاد المتخلفة على قناعة أن تثقيف الإنسان هو الأكثر أهمية .

أما عن رأينا الخاص حول الأفكار عند بن نبي فإننا وجدنا بأنه قد قدم واحدة من أعظم النظريات عبر التاريخ الفكري البشري عامة والإسلامي خاصة . وربما هي تحمل بعض النقائص ، إلا أنه لا ينكر اثنان مكانة مالك بن نبي ونظريته الفكرية في العالم بين النظريات الحضارية والفكرية . ونرجو ممن يلينا من طلاب جامعتنا أن يحاولوا جاهدا تناول فكرمالك بن نبي النابغة ومحاولة تقديم تحليل أشمل وأكثر وضوحا لنظريات وأراء لم يسعفنا الجهد والوقت لتقديمها.

قائمة المصادر(بالعربية والفرنسية)

1- مالك بن نبي : المسلم في عالم الإقتصاد،ط4،دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، 2000.

2- مالك بن نبي : القضايا الكبرى، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق، 1991.

3- مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، ط 2 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، دمشق، 2002.

4- مالك بن نبي : تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ترجمة وتلخيص عبد العظيم علي، ط1،دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،1997.

5- مالك بن نبي : تأملات، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، 2002.

6- مالك بن نبي : شروط النهضة، ترعبد الصبور شاهين ، دارالفكرللطباعة والنشر ، دمشق، 1986.

7- مالك بن نبي : مجالس دمشق ، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق ، 2006.

8- مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تر بسام بركة و أُحمد شعبو،ط1 ،دار الفكرللطباعة والنشر،دمشق ،2002.

9- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، تر عبد الصبور شهين، ط5 ،دار الفكرللطباعة والنشر، دمشق، 2000.

10- مالك بن نبي : من أجل التغيير ، ط 4، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق،2005.

11- مالك بن نبي : ميلاد مجتمع، تر عبد الصبور شاهين، ط 3، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق،ج 1، 1986.

12 ـ مالك بن نبي : فكرة كومنويلث إسلامي، تر الطيب شريف، ط3 ،دار الفكر للطباعة والنشر،دمشق، 2000.

13- مالك بن نبي : في مهب المعركة ،ط 3،دار الفكرللطباعة والنشر،دمشق ، 2002.

14- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، تر عبد الصابور شاهين ، ط 2 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، 2002.

15-Malek bennabi : le problème des idées dans le monde musulman ، Edition1، elbayyinat ،Hydra ،Alger 1990،.

16- Malek bennabi : Les conditions de la renaissance ،Edition ANEP2000،.

17 -Malek bennabi : vocation de l'islam 1 ،er Edition ،Edition anep ، ، 2006.

قائمة المراجع

18- الطاهر سعود : التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، ط1، دار الهادي للنشر والتوزيع، بيروت،2002.

19 - بن إبراهيم الطيب : مالك بن نبي وإبن خلدون مواقف وأفكار مشتركة،ط1،دارمدني للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.

20- عبد الله بن حمد العويسي : مالك بن نبي حياته وفكره، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت، 2012.

21- عمر كامل مسقاوي : في صحبة مالك بن نبي ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق،ج1، 2013.

22- عمر كامل مسقاوي : في صحبة مالك بن نبي ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق،ج2، 2013.

23- فوزية بريون : مالك بن نبي عصره حياته ونظريته في الحضارة ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق،2010.

24 ـ محمد العبدة : مالك بن نبي مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي ، ط 1 ، دار القلم لطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ،2006.

25- مولاي الخليفة لمشيشي : مالك بن نبي دراسة إستقرائية مقارنة،ط 1، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2012.

قائمة المذكرات :

26- الكبار عبد العزيز : قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الأنثروبولوجية ،كلية الأداب والعلوم الانسانية والاجتماعية،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان، 2001_2002.

27- جمال بروال : الدورة الحضارية بين بن نبي واشبلنجر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الحاج لخضر،باتنة، 2012-2013.

28- حميدي لخضر : مشكلة التغيير عند مالك بن نبي،رسالة مكملة لنيل شهادة الماجيستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة الجزائر،الجزائر،2004_2005 .

29- شبي غانية : مالك بن نبي ورؤيته في الإصلاح الإجتماعي ، مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014.

30- عبد المجيد عطار : موقع المسألة الثقافية في البناء الحضاري عند مالك بن نبي، رسالة ماجيستر معهد الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ،1997-1998 .

31- رقية بوسدان : تكامل الرؤية المعرفية في تصور بناء الحضارة عند مالك بن نبي،ندوة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة.

قائمة الموسوعات والمعاجم :

32- إبراهيم مذكور : المعجم الفلسفي ، ط1 ،الهيئة العالمة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ،1983.

33- إبن منظور : المعجم اللغوي لسان العرب

34- حامد خليل : الموسوعة العربية مختارات فلسفة إجتماع عقائد ،ج1، منتدى مكتبة الإسكندرية

35- جاد الكريم الجباعي : الموسوعة العربية مختارات فلسفة إجتماع عقائد ، ج 2، منتدى مكتبة الإسكندرية.

36- سمير الشيخ علي : الموسوعة العربية مختارات فلسفة إجتماع عقائد ، ج 3، منتدى مكتبة الإسكندرية.

37- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ط 1 ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ،ج 1، 1982.

38- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ط 1 ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، ج 2، 1982.

39- جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ط3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان،2002.

40- مراد وهبه : المعجم الفلسفي ، ط5، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،2007.

فهرسة الموضوع

الموضوعات	الصفحات
الإهداء	
المقدمة	أ - ج
الفصل الأول : ماهية الأفكار عند مالك بن نبي	6 - 22
المبحث الأول : الأفكار وفعاليتها عند مالك بن نبي	7
1)التعريف بمالك بن نبي	8
2)عالم الأفكار عند مالك بن نبي	9
3)التدرج في عالم الأفكار	11
4)فاعلية الأفكار	12
المبحث الثاني : الأفكار المطبوعة والأفكار الموضوعة عند مالك بن نبي	13
1)الأفكار بين المطبوعة والموضوعة	14
2)العلاقة بين الأفكار المطبوعة والأفكار الموضوعة	15
المبحث الثالث : الأفكار الميتة والأفكار المميتة عند مالك بن نبي	17
1)الأفكار الميتة وأعراضها	18
3)الأفكار المميتة	20
4)العلاقة بين الأفكار الميتة والأفكار المميتة	20
الفصل الثاني : الأفكار وعالم الإنسان عند مالك بن نبي	23 - 39
المبحث الأول : الأفكار والطفل عند مالك بن نبي	24
1)مراحل إندماج الطفل حسب بن نبي	25

2)عالم الأفكار والطفل	26
المبحث الثاني : الأفكار والمجتمع عند مالك بن نبي	27
1)ماهية المجتمع حسب بن نبي	28
2)دور الأفكار في تطور المجتمع	29
3)مراحل التحضر في المجتمع	30
4)علاقة الأفكار بالمجتمع	32
المبحث الثالث : الأفكار والسياسة عند مالك بن نبي	33
1) ماهية السياسة	34
2)معايير السياسة عند مالك بن نبي	34
3)صفات السياسي عند مالك بن نبي	36
4)مبادىء السياسة عند بن نبي	37
الفصل الثالث : الأفكار بين الحضارة والثقافة عند مالك بن نبي	55 - 40
المبحث الأول : الأفكار والحضارة عند مالك بن نبي	41
1)مفهوم الحضارة	42
2)مالك بن نبي بين الأفكار والحضارة	43
3)الدورة الحضارية عند بن نبي	44
4)الحضارة من خلال المجتمع الإسلامي	48
المبحث الثاني : الأفكار والثقافة عند مالك بن نبي	50
1)ماهية الثقافة	50
2)التوجيه بين الأفكار والثقافة عند بن نبي	52
الخاتمة	59 - 57
قائمة المصادر والمراجع	